الجانب الاجتماعي في الشعر العربي الحديث

شعراء الإحياء نموذجًا

إعداد الدكتور:

محمد أحمد عبد الرحمن سليمان

مدرس الأدب والنقد بالكلية

ملخـــص

إن المجتمع بما فيه ومن فيه يعد مصدرًا ثرًا يستمد منه الشاعر مادة شعره، وكلما كان الشاعر صادقًا في تصوير حياة الناس بقي شعره حيـًا في نفوسهم؛ لأنه شعر يتحدث بلسان حالهم، ويعبر عن أحاسيسهم ووجدانهم، فيصل إلى خلجات قلوبهم، وتفهمه عقولهم، وتألفه آذانهم، وهذا ما يراه أصحاب المنهج الاجتماعي في دراسة الأدب، فيعتبرون أن العمل الإبداعي لا يستمد جلاله أو روعته من جلال موضوعه أو غرضه أو من تقنياته الفنية فقط، وإنما يستمد قيمته من مدى صدقه في التعبير عن هموم الناس والتفاعل مع آمالهم وأحزانهم.

وانطلاقًا من أهمية الشعر في التعبير عن الواقع الاجتماعي، وترسيخ القيم والفضائل؛ جاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذا الجانب في الشعر العربي الحديث، وقد كان بعنوان (الجانب الاجتماعي في الشعر العربي الحديث شعراء الإحياء نموذجًا).

The Social Aspect of Modern Arabic Poetry
The Revival Poets (A Model).

By: Mohammed Ahmed Abdel-Rahman Solayman
A Lecturer in Literature and Criticism
Faculty of Islamic and Arabic Studies (Males Branch) in Cairo

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

Abstract

The society as a whole is considered a source from which the poet extracts the material of his poetry. As far as the poet is truthful in depicting the life of his people, his poetry remains vivid in the souls of his people as it expresses their feelings and talks on behalf of them so that it influences them profoundly. This is what the followers of the social approach of literature believe since they consider the creative work of art does not derive its great value or wonderful taste from the greatness of its topic or purpose, neither from its technical traits but it derives its value from the truth of its expression to convey the pain and suffering of its folks as well as their hopes and sadness.

Considering the importance of poetry to express social reality, establish values and virtues, this research is keen on highlighting this aspect in modern Arabic poetry. Hence, the title of the research embodies this significant aspect.

Key words: the social aspect, the revival poets, establishing values, social reality.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله العلي الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، ثم الصلاة والتسليم، على المرسل رحمة للعالمين، وإمامًا للمتقين، سيدنا محمد النبي الأمي، والرسول العربي، وعلى آله وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، الطيبين الطاهرين، الرافعين قواعد الدين، وبعد.

فإن الأدب مرآة المجتمع؛ حيث يعبر عن همومه وآلامه، ويتفاعل مع أحزانه وأحلامه، والأديب الجيد هو الذي لا يخاطب ذاته، بل يعبر عن روح قومه ومجتمعه؛ لأنه يبدع ويؤلف ليخاطب غيره، ويفكر دائمًا فيمن يتلقون أدبه، ويحاول أن يتطابق معهم، ويتفاعل مع همومهم وقضاياهم؛ وذلك لأنه اجتماعي بطبعه، وليس منغلقًا على ذاته، ولا منفصلا عن جماعته، ولا منكفئًا على نفسه.

وتكمن أهمية الأديب في المجتمع في كونه مرآة لعالمه الخارجي، يصور آلامه وآماله، ويعبر عن قضاياه وأفكاره، ويحفز على إيجابياته، وينفر من سلبياته، ويخلد المآثر الطيبة لشخصياته، ويحاول جاهدًا أن يغير من آفاته، ويقوّم اعوجاجه وانحرافه، إما بالإشارة والتلميح، أو بالمباشرة والتصريح، فالأديب إذن هو قيمة اجتماعية إنسانية.

والمطالع لمسيرة الشعر العربي -على اختلاف عصوره- يجد أن قيمة المجتمع بارزة، وأن صورته حاضرة، وأن الشعراء قد عبروا عن القيم المجتمعية وصوروا الحياة الإنسانية، التي عاشتها جماعات الناس في البدو والحضر، وكان الشعر العربي صورة للمجتمع، وكان الأديب يرى أن من واجبه أن يعبر عن روح قومه، ولا ينفصل عن جماعته.

والشعراء العرب المحدثون ساروا على درب سابقيهم، واحتذوا حذوهم في التعبير عن المجتمع بكل ما فيه من أحداث وشخصيات، وكان البارودي رائد الشعر العربي الحديث

أسبق الشعراء في هذا الاتجاه؛ حيث صور ذاته، وعبر عن روح عصره، وتفاعل مع ظروف قومه ومجتمعه، أعمق تصوير وأوفاه، وعلى هذا النهج سار شوقي وحافظ، وغيرهما من شعراء الإحياء، فتجلى في شعرهم الجانب الوطني والاجتماعي بصورة واضحة.

والمجتمع بما فيه ومن فيه يعد مصدرًا ثرًا يستمد منه الشاعر مادة شعره، وكلما كان الشاعر صادقًا في تصوير حياة الناس بقي شعره حيًا في نفوسهم؛ لأنه شعر يتحدث بلسان حالهم، ويعبر عن أحاسيسهم ووجدانهم، فيصل إلى خلجات قلوبهم، وتفهمه عقولهم، وتألفه آذانهم، وهذا ما يراه أصحاب المنهج الاجتماعي في دراسة الأدب، فيعتبرون أن العمل الإبداعي لا يستمد جلاله أو روعته من جلال موضوعه أو غرضه أو من تقنياته الفنية فقط، وإنما يستمد قيمته من مدى صدقه في التعبير عن هموم الناس والتفاعل مع آمالهم وأحزانهم.

وانطلاقًا من أهمية الشعر في التعبير عن الواقع الاجتماعي، وترسيخ القيم والفضائل؛ جاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذا الجانب في الشعر العربي الحديث، وقد كان بعنوان (الجانب الاجتماعي في الشعر العربي الحديث شعراء الإحياء نموذجًا).

أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب من أبرزها ما يلي:

أولًا: التأكيد على دور الشعر وأهميته في تصوير المجتمعات الإنسانية، وإبراز القضايا والمشكلات الاجتماعية، وكيف شارك الشعراء في إصلاحها بفكر موصول بثوابت الإسلام وتعاليمه السمحة وأخلاقه الراقية، في أسلوب فني جذاب، وشكل شعري أخاذ، وبذلك يكون الشعر وسيلة مهمة في الدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثانيًا: أن الفترة التاريخية التي عاشها شعراء الإحياء كانت فترة انفتاح حضاري على الثقافة الغربية بكل ما فيها من سلبيات وإيجابيات، ونتج عن ذلك تقليد أعمى لكل ما هو أوربي،

أدى إلى ترد في الأخلاق، واختلال في القيم والمبادئ؛ فانبرى الشعراء المحافظون للدفاع عن عادات المجتمع وتقاليدهم الطيبة، والتحذير من الآفات الاجتماعية والمفاسد الخلقية.

أما عن منهج البحث فقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أسير فيه على المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على استقراء الظاهرة وتتبعها من جميع جزئياتها؛ وذلك بالبحث والتنقيب عن الظواهر الاجتماعية في الشعر الإحيائي، معتمدًا كذلك على المنهج التاريخي، الذي يقوم على تتبع الأحداث التاريخية، ودورها في لإبراز التجربة الشعرية.

خطة البحث:

أما عن الخطة التي سرت عليها فقد جاء الموضوع في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة، وذلك كما يلي:

تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع، والأسباب التي دفعتني لاختياره.

وفي التمهيد (الشعر الإحيائي وقيمة الأدب في المجتمع)، وقد تحدثت عن الشعر الإحيائي وأبرز رموزه، وعن علاقة الشعر بالمجتمع.

وجاء الفصل الأول بعنوان (الظواهر الاجتماعية في الشعر الإحيائي) وفيه مبحثان:

أحدهما: عن الظواهر الإيجابية ودعوة الشعراء إليها.

والثاني: عن الظواهر السلبية وتحذير الشعراء منها.

أما الفصل الثاني فهو بعنوان (عناصر المجتمع في الشعر الإحيائي ونظرة الشعراء إليهم) وفيه ثلاثة مباحث، وهي:

- الذات.
- الرجل.
- المرأة.

وفي الخاتمة تلخيص لأبرز النتائج التي توصلت إليها.

التمهيد
الشعر الإحيائي وقيمة الأدب في المجتمع

أولا: الشعر الإحيائي وأبرز رموزه:

في الفترة من الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م كان الشعر العربي على ما هو عليه من الركاكة والتكلف والابتذال، وقد تتابعت الأحداث في هذه الفترة من تاريخ مصر إلا أن والي مصر حينذاك (محمد علي) لم يعن بالشعر والأدب قدر عنايته بالنهضة الحديثة من بناء الجيش القوي وإرسال البعثات العلمية إلى بلاد أوربا، في حين أن الأدب قد ظل على ما كان عليه في العصر العثماني، لم ينهض من كبوته، ولم يحدث فيه أي تغيير "فالأغراض ضيقة تافهة، والمعاني مبتذلة ساقطة، والأساليب متكلفة مثقلة بالبديع وما يتصل به من حساب الجمل الذي كانوا يؤرخون به حوادث شعرهم وقصيدهم"(١).

ومن ثم لم يعد الشعر لدى شعراء هذه الفترة إلا مجرد نظم جار على الفن العروضي الذي يتشددون في إحسانه والتبرير فيه، وإتقان أعاريضه وأضربه، وزخارفه وعلله، على وجه لا يميل بالشاعر في أوزانه عن نهجه قيد أنملة، أما ما وراء ذلك من معان وأخيلة فأمره متروك إلى روح العصر وطريقته ونمط تفكيره التي تنتهي كلها إلى التقليد والصنعة(٢).

ومن هنا نعلم أن الأدب العربي قبيل النهضة الأدبية الحديثة كان -غالبه- في حالة مزرية شعرًا ونثرًا؛ حيث لم يكن للشعر رونق جذاب، ولا أسلوب أخاذ، ولا معان شيقة، ولا أخيلة معبرة، بل تطبع الشعراء وتغذوا بروح العصر، وجاءت أشعارهم خالية من المتعة الشعورية

(١) د/ شوقي ضيف (الأدب العربي المعاصر في مصر صـ ٣٨. دار المعارف- القاهرة، ط/ ١٤ بدون تاريخ.

(٢) ينظر: د/ حسن أحمد الكبير (تطور القصيدة الغنائية في العصر الحديث صـ ٢٢، دار الفكر العربي بدون تاريخ.

والثروة الذهنية، بل كان مصورًا للعصر، مؤرخًا لطور من أطوار حياتنا الأدبية، مكثفًا بالتكلف والتصنع، بعيدًا عن الابتكار والتحليق والتطبع.

ثم تتابعت الأحداث السياسية والعلمية إلى أن جاءت ولاية الخديوي إسماعيل وحتى قيام الثورة العرابية (١٨٦٣-١٨٨١م)، وهي الفترة التي يطلق عليها المؤرخون (عصر النهضة)؛ حيث أخذت البعثات العلمية تؤتي ثمارها؛ فترجم رفاعة الطهطاوي وبعض زملائه بعضًا من الآثار الأوربية، وفتح الخديوي إسماعيل المدارس التي أغلقت في عهد سعيد وعباس، بالإضافة إلى دور الأزهر في حفاظه على التراث العربي والإسلامي، وعنايته الشديدة بالعلوم اللغوية والدينية، بالإضافة إلى العلوم الطبية والفلسفية، وكذلك لعبت الطباعة والصحافة دورًا مهمًا في تلك النهضة العلمية والأدبية؛ حيث أنشئت العديد من الصحف السياسية والأدبية، والتي كان من أبرزها "وادي النيل سنة ١٨٦٦م، ثم نزهة الأفكار سنة ١٨٦٩م، وروضة المدارس سنة ١٨٧٠م، وكانت علمية أدبية[١].

وفي هذه الفترة من تاريخ النهضة الأدبية "كان قد جاء إلى مصر جمال الدين الأفغاني بآرائه الإصلاحية ودعوته التحررية، ورأى فيه المصريون قوة تعين على ما يرجوه الجميع، فالمصريون رأوا فيه الزعيم المسلم الداعي إلى الإصلاح الديني والاجتماعي فتحسموا له وتأثروا به، والتفوا حوله، وأفسحوا في صحفهم له. وهكذا كانت حركة فكرية أدبية نشطة كان لها أثرها المحمود في اللغة والأدب"[٢]، تجلى أثرها واضحًا في رواد النهضة الأدبية الحديثة شعرًا ونثرًا.

وفي هذه الفترة التاريخية التي مرت بها مصر ظهرت مدارس أدبية عديدة؛ نتيجة لاختلاف ثقافة الشعراء وتباين مناحيهم الفكرية التي عملت على تكوينهم الثقافي والأدبي، فمنهم من

(١ ينظر: د/ حسن أحمد الكبير (تطور القصيدة الغنائية في العصر الحديث صـ ٢٥.

(٢ ينظر: د/ أحمد هيكل (تطور الأدب الحديث في مصر صـ ٥٠، دار المعارف – مصر، ط/ ٦/ ١٩٩٤م.

اقتصر على الأدب العربي القديم، ورأى فيه المثل الأعلى والقدوة الحسنة في السير على منواله والنهج على غراره؛ خروجًا من النفق المظلم والحالة المزرية التي ظل عليها الشعر العربي في الحكم العثماني، ومن الشعراء من تأثر بالثقافة الغربية، واستهوته المذاهب الأوربية؛ فسار على غرارها، وجعلها مثلًا يحتذيه، ويمشي على منواله، منصرفًا عن القديم بكل ما فيه، مجاريًا الغربيين في مذاهبهم واتجاهاتهم، ومن الشعراء أيضًا من جمع بين القديم والجديد، فعمل على تزويد الأدب العربي بكل جديد طارئ، وفتح أمامه السبيل للتطور والتجديد بما يناسب العصر والذوق، مستفيدًا من كل جديد يطرأ على الساحة الفكرية والأدبية.

والذي يهمنا في هذه الاتجاهات وتلك المدارس هي مدرسة الإحياء والبعث، أو مدرسة الشعر الكلاسيكي، تلك المدرسة التي عملت على الحفاظ على النمط الشعري القديم، والسير على منوال الشعراء في العصرين العباسي والأموي، ومحاكاة الشعراء القدامى في الأوزان والقوافي والأغراض، كأبي تمام والبحتري وأبي الطيب المتنبي، فكان لشعراء هذا الاتجاه قصب السبق في إحياء الشعر العربي القديم، وليس من شك في أن هذه المدرسة كانت وليدة بعث شامل في الدين والعلم والفكر والأدب، حيث طبعت أمهات الكتب الأدبية والعربية ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وطبعت كذلك مقامات بديع الزمان الهمذاني، وطبع كتاب دلائل الإعجاز وكتاب أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني.

أبرز رواد الشعر الإحيائي في العصر الحديث:

١ـ محمود سامي البارودي:

وهو واحد من أبرز رواد النهضة الأدبية في العصر الحديث، ولد محمود سامي حسن البارودي في سنة ١٨٣٨م، وهو الشاعر الفذ، الذي "كانت تبحث عنه الأقاليم العربية منذ المتنبي والشريف الرضي، ويعييها البحث ويضنيها، ولد البارودي وهو الشاعر الذي سيبعث الشعر العربي من سُباته الطويل، ويخلع عنه ثيابه البالية من البديع وغير البديع، ويرد إليه

الحياة والنشاط، فيصبح شعرًا ممتعًا يغذي القلب والشعور، ويمنح قارئه لذة فنية حقيقية"[1].

نشأ البارودي في بيت ثري، عمل وزيرًا للأوقاف، ثم وزيرًا للحربية، وكان من أبرز المشاركين في الثورة العرابية التي باءت بالفشل؛ فأدى ذلك إلى نفي قادتها وزعمائها، وكان منهم البارودي، الذي نُفي إلى جزيرة (سرنديب) إحدى الجزر الهندية، وفي منفاه تغنى بقصائده الخالدة، وأبدع أشعاره الماتعة، ولما عاد من منفاه إلى القاهرة عمل على تنقيح ديوانه، ولكنه لم يلبث أن فقد بصره، ثم توفي في ديسمبر سنة ١٩٠٤م.

والمطالع لحياة البارودي يجد أن موهبة الشاعر الإبداعية قد تفجرت عندما تخرج في المدرسة الحربية، فلم يخلد إلى الركون أو الدعة، ولم يستسلم لفشل الثورة العرابية، بل نقل ميدان قتاله ونضاله ضد الظلم والاستبداد من الجندية إلى ميدان القلم والكلمة، وسرعان ما تيقظت في وجدانه موهبة الشعر، فبين أن هذه الموهبة إنما هي ميراثه من جهة أمه؛ ولذلك يقول:

أنـــا في الشعـــر عريـــقٌ لم أرثـــه عـــن كلالـــه
كـــان إبـــراهيم خـــالي فيـــه مشـــهور المقالـــة

ثم انكب البارودي بعد ذلك على تراث القدماء من الكتاب والشعراء العرب، فاطلع على الموسوعات والدواوين لفحول الشعر العربي وتاريخهم، فاستهواه شعر الأقدمين، ووجد فيه نفسه الحائرة، واندفع "ينهل من هذا المعين، محولًا إلى قلبه ووجدانه هذا السيل الغزير من العواطف والصور، فتخترق مخيلته المصورة، وذاكرته اللاقطة كل ما استهواه من أشعار

(١) د/ شوقي ضيف (الأدب العربي المعاصر في مصر صـ٣٨.

البطولة والحماسة، ويتأثر مزاجه وقلبه وخياله بذلك كله، وينفعل معه"[1]؛ ثم يسير على غراره، ويسلك مسلكه في وزنه وموضوعاته، ويتأثر بكل تلك الأشعار التي "تحمل جميع خصائص الشعر العربي في عصوره الذهبية، جزالة في اللفظ، ورصانة في اللغة، ووقارا في العبارة، ونبلا في الأغراض، وتجاهلا للمحسنات البديعية والحيل اللفظين، التي فرضت نفسها على أذواق الغالبية العظمى من الشعراء"[2].

وقد ترك البارودي للمكتبة الأدبية ديوانًا من أربعة أجزاء، جمع فيها تجاربه الشعرية، وصور فيها خوالجه الذاتية، وكوامنه النفسية، سلك فيها نهج القدماء، من حيث التصوير والتعبير، ورد إلى الشعر العربي رونقه وبهاءه المؤثر في نفس القارئ وعقله وشعوره، كما ترك البارودي مختاراته الشعرية لثلاثين شاعرًا من القدامى، وبذلك استحق أن يكون رائدًا للنهضة الأدبية، وعلما من أعلام الشعر الإحيائي في العصر الحديث.

٢ـ أحمد شوقي:

ولد أمير الشعراء أحمد شوقي في القاهرة عام ١٩٦٨م من أم تركية، تجري في عروقه دماء عربية، كان جده لأبيه يعمل أمينًا بالجمارك المصرية، وقد نشأ شاعرنا في بيت عزّ وشرف، وكان مقربًا من الأمراء والملوك والسلاطين، وذاعت شهرته في الآفاق، وانتشرت بين الناس أشعاره الخالدة، وأعماله الماتعة.

يعد أحمد شوقي علمًا من أعلام النهضة الأدبية الحديثة، وواحدا من رموزها؛ حيث تأثر بما تركه الشعراء العرب القدامى، وانتهج نهجهم، وسار على منوالهم، كما قرأ عند الشعراء الأوربيين شعرًا تاريخيًا رائعًا مثل (أساطير القرون) لفيكتور هيجو، كما تأثر بالشاعر الفرنسي

(١) ينظر: د/ حسن أحمد الكبير (تطور القصيدة الغنائية في العصر الحديث صـ ٨١

(٢) المرجع السابق صـ ٨٣.

لافونتين، فنظم قصائد ماتعة على لسان الحيوان والطير، تتسم بالرمز والإيحاء والتمويه والتلميح، وتنأى عن المباشرة والتصريح، كما كان شاعرًا إسلاميًا صرفًا، فاستقى من الشعر الإسلامي ميميته المشهورة التي عارض بها بردة الإمام البوصيري.

وكان من أكبر ما استقاه أحمد شوقي من الثقافة العربية "كتاب الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفي، وهو يضم بين دفتيه أروع ما للقدماء من نماذج، كما يضم بعض نماذج البارودي الحديثة، ولم يكد يلم شوقي بهذه النماذج الأخيرة حتى احتواها لنفسه وفنه، فقد تمثلها تمثلًا رائعًا"(١).

وعُدّ شوقي من أعلام النهضة الأدبية الحديثة ورموز الشعر الإحيائي؛ لأنه عكف على تراث السابقين من شعراء العرب، "فتمثل النماذج العباسية عند أبي نواس والبحتري وأبي تمام والمتنبي والشريف الرضي وأبي فراس الحمداني وغيرهم، وكان إعجابه شديدًا بالبحتري والمتنبي خاصة، وسرعان ما اهتدى إلى أسلوبه، وهو أسلوب يسلك نفس الدروب التي سلكها البارودي من قبله، أسلوب يقوم على الاحتذاء للقوالب العباسية، ولا يجد صاحبه حرجًا في أن يعارض أصحابها، بل يعلن إعلانا كما كان يعلنه سلفه، فتلك أمارة الإجادة الفنية، وهي إجادة تقوم على بعث الصياغة القديمة وإحيائها"(٢).

وقد كان أحمد شوقي شاعرًا وطنيًا من الطراز الأول؛ حيث كان من "أغزر الشعراء مادة وأوسعهم إنتاجًا في هذه الناحية، ولقد ظل يستلهم روح الوطنية طول حياته، شابًا وكهلًا وشيخًا، بل إن شعره الوطني في شيخوخته كان أقوى منه في شبابه... وكان هذا الاتجاه في

(١) د/ شوقي ضيف (الأدب العربي المعاصر في مصر صـ ١١٤.

(٢) د/ شوقي ضيف (الأدب المعاصر في مصر صـ ١١٤.

شعره فيض الإلهام والفطرة، وليس من صنع الظروف والتكلف"[1]؛ ولذلك كانت تلك التجارب قوية مؤثرة، نابعة من صميم وجدانه وعميق فكره.

وبعد رحلة من العطاء والتألق والإبداع، ترك فيها شوقي ديوانًا ضخمًا جمع فيه تجاربه الشعرية، وصور فيه حياته النفسية والعلمية والفكرية، وعبر فيها عن كوامنه الذاتية وتجاربه الشعورية، ثم لبى نداء ربه –عز وجل– في أكتوبر من سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة وألف (١٩٣٢م)، مخلفًا لأمته العربية والإسلامية تراثه الشعري الخالد.

٣ـ حافظ إبراهيم:

على ضفاف النيل بصعيد مصر ولد حافظ إبراهيم في عام ١٨٧٢م، "نشأ يتيمًا في أسرة متوسطة، لم يلبث أن اضطر إلى كسب قوته بنفسه، وحاول أن ينظّم حياته فدخل المدرسة الحربية وتخرج فيها، ولكن سوء الطالع لازمه، فأحيل إلى الاستيداع والمعاش"[2].

وقد كان حافظ شاعرًا موهوبًا بطبعه، ظهرت موهبته الشعرية في السادسة عشرة من عمره، وكان يحفظ قصائد لفحول الشعراء العربي، وقلدهم في قصائدهم، وسار على منوالهم، وحاكاهم في جيد أشعارهم؛ الأمر الذي جعله واحدًا من أعلام الشعر الإحيائي في النهضة الأدبية الحديثة، وامتاز في شعره بقوة الديباجة وسلاسة الأسلوب، وروعة التصوير، ودقة العبارة، وطلاوة الأسلوب، وروح الخطابة.

دخل المدرسة الحربية، وربما كان دخوله هذه المدرسة "ناشئًا عن رغبة ملحة في نفسه لأن تصبح سيرته مثل سيرة البارودي من جميع الوجوه... فالبارودي كان مثله الأعلى؛ ولذلك

---

(١) ينظر: عبد الرحمن الرافعي (شعراء الوطنية في مصر تراجمهم وشعرهم الوطني والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم صـ ٤٥– ٤٦.

(٢) د/ شوقي ضيف (الأدب العربي المعاصر في مصر صـ ١٠٢.

أخذ يطابقه مطابقة تامة بين هذا المثل وشعره، واستطاع أن يظفر من ذلك بما كان يطمح إليه، فقد أحيا في شعره صيغه الجزلة الرصينة، وإن كان قد حاول تبسيطها، إلا أن قوالبه تمتاز دائمًا بما تمتاز به قوالب البارودي من الرصانة والجزالة والبعث لأساليب العربية الأصيلة" وبذلك استحق حافظ إبراهيم أن يكون رائدًا من رواد الشعر الإحيائي.

وقد رحل شاعر النيل عن عالمنا تاركًا وراءه تراثًا خالدًا، جمع فيه أشعاره وتجاربه الدينية والوطنية والاجتماعية والنفسية، واهتز العالم العربي بوفاته في سنة ١٩٣٢م، حزنًا لفقده، وتأثرًا بفراقه، رحم الله حافظًا رحمة واسعة، وجزاه عما قدمه للإسلام والعربية خير الجزاء.

كان هؤلاء الشعراء الثلاثة من أبرز رواد الشعر الإحيائي في عصر النهضة؛ وذلك بسبب ما قدموه من أشعار وتجارب، حذوا فيها نهج القدماء، وساروا على دربهم، فأحيوا الشعر العربي من سبات عميق، وأحدثوا ضجة في عالم الإبداع والفن، فاستحقوا بذلك أن يكونوا روادًا لمدرسة النهضة الأدبية في العصر الحديث، رحم الله الجميع رحمة واسعة.

ثانيًا: الأدب وعلاقته بالمجتمع:

وبعد الحديث عن هؤلاء الرواد، وعن دورهم في إحياء الشعر العربي، والمكانة السامقة التي ارتقوها، يأتي الحديث عن الأدب وعلاقته المهمة بالمجتمع، وفي البداية ينبغي التنبيه على أن الأدب الناجع هو الذي يعبر عن روح المجتمع، ويصور قضاياه الجوهرية، ويعبر عن الحياة الإنسانية، ويعالج سلبيات المجتمع، ويعمل على إصلاحها، ويجسد هموم الناس في تجارب شعرية أخاذة.

والأدب من صميم المجتمع، يعبر عن همومه وآلامه، ويتفاعل مع أحلامه وأحزانه، والأديب الناجح لا يخاطب ذاته، بل يعبر عن روح قومه ومجتمعه؛ لأنه يبدع ويكتب ليخاطب غيره، وبمجرد أن يمسك قلمه "يفكر فيمن سيقرؤون، ويحاول جاهدًا أن يتطابق

معهم، ويعي مجتمعه وعيًا كاملًا بكل قضاياه وأحداثه ومشاكله، وذلك لسبب بسيط وهو أنه اجتماعي بطبعه"[1]، وليس منغلقًا على ذاته، ولا منفصلا عن جماعته، ولا منكفئًا على نفسه.

والمطالع لمسيرة الشعر العربي -على اختلاف عصوره- يجد أن قيمة المجتمع بارزة، وأن صورته حاضرة، وأن الشعراء قد عبروا عن القيم المجتمعية وصوروا الحياة التي عاشتها جماعات الناس في البدو والحضر، "فالشعر العربي لم ينسحب ولم يهرب من الحياة، بل كان يرافقها في السلم والحرب، وكان الشاعر يرى من واجبه أن يشارك في أحداث مجتمعه"[2].

والشعراء العرب المحدثون ساروا على درب سابقيهم، واحتذوا حذوهم في التعبير عن المجتمع بكل ما فيه من أحداث وشخصيات، وقد كان البارودي رائد الشعر العربي الحديث أسبق الشعراء في هذا الاتجاه؛ "حيث صور نفسه، وعصره، وظروف قومه، وثورتهم على إسماعيل وتوفيق وموقفهم من ذلك تصويرًا رائعًا"[3]، وعلى هذا النهج سار شوقي وحافظ، وتجلى في شعرهما الجانب الوطني والاجتماعي بصورة واضحة.

والأديب البارع "يستطيع أن يؤثر في مجتمعه، وأن يكسب رضاه، ووسيلته في ذلك أن يحدثهم فيما يعنيهم، ويخاطبهم فيما يعيشون ويشعرون، دون أن يخضع لإرادة هذا المجتمع، بل ربما استطاع تحقيق ذلك وهو يقف معارضًا لواقعه الخارجي"[4].

وتكمن أهمية الشاعر في المجتمع في كونه مرآة لعالمه الخارجي، يصور آلامه وآماله، ويعبر عن قضاياه وأفكاره، ويحفز على إيجابياته، وينفر من سلبياته، ويخلد المآثر الطيبة لشخصياته،

---

(١) د/ شوقي ضيف (في النقد الأدبي صـ ١٩١، دار المعارف، ط/ ٥ بدون تاريخ.

(٢) المرجع السابق صـ ١٩٤.

(٣) السابق نفس الصفحة.

(٤) ينظر: د/ محمد محمد عليوة (فصول في نظرية الأدب صـ ٦٦، دار الهاني للطباعة والنشر والتوزيع.

ويحاول جاهدًا أن يغير من آفاته، ويقوّم اعوجاجه وانحرافه، إما بالإشارة والتلميح، أو بالمباشرة والتصريح، فالشاعر إذن هو قيمة اجتماعية إنسانية.

كما أنه لا يستطيع أحد أن ينكر أن " أي أديب لا بد أن يستوحي مضمون أعماله من ظروف المجتمع الذي يعيش فيه، ويتأثر بأحواله وملابساته في أثناء قيامه بعملية الإبداع الفني؛ ذلك أن الأديب -وهو الضمير الواعي لمجتمعه- لا بد وأن يبلور وجدانه، ويضع يده على نقاط الضعف والقوة، ويرى ما لا يراه الشخص العادي"(١)، ومن ثم يكون دوره علاجيًا لآفات المجتمع وسلبياته، ودعويًا لإيجابياته وحسناته.

(١) د/ نبيل راغب (التفسير العلمي: للأدب نحو نظرية عربية جديدة صـ ١٣٩، المركز الثقافي الجامعي، بدون تاريخ.

الفصل الأول

الظواهر الاجتماعية في الشعر الإحيائي

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الظواهر الإيجابية.

المبحث الثاني: الظواهر السلبية.

المبحث الأول
الظواهــر الإيجابيــة

مر بنا آنفًا أن الشعر مرآة المجتمع، يصور ما فيه من قضايا، ويجسد ما فيه من اتجاهات وأفكار وظواهر، وقد كان الشعر العربي –على مر العصور– عاملًا من عوامل البناء الاجتماعي، وعنصرًا من عناصر الدعوة إلى الله، حتى في الشعر الجاهلي، تغنى الشاعر بالقيم الفاضلة، والأخلاق الراقية، التي تنبئ عن نفس سوية، وإحساس صادق، وفي الشعر الجاهلي نماذج كثيرة تدل على الأخلاق الحسنة، والآداب الجمة، فهذا عنترة بن شداد، يعتز بنفسه، ويفتخر بأخلاقه، فيقول:

وأَغُـضُّ طـرفي مـا بـدَتْ لي جـارَتي حتــى يُــواري جــارتي مأْواهــا
إني امــرؤٌ سَــمْحُ الخليقــة ماجــدٌ لا أتبعُ الـنفسَ اللَّجـوجَ هواهـا

وفي العصر الحديث صور الشعراء الإحيائيون الظواهر الاجتماعية، والقيمة الأخلاقية، وأشادوا بالعدل والمساواة، وتغنوا بالحرية، وحثوا على العلم والعمل والمسارعة في الخير، والوفاء بالعهد وبر الوالدين، وغير ذلك مما جاء به الإسلام، ودعا الناس إلى الالتزام به، وفي هذه الصفحات إطلالة على الظواهر الاجتماعية الفاضلة التي حث شعراء الإحياء إليها، والتي كان من أبرزها ما يلي:

أولا: الدعوة إلى العمل والمثابرة:

قيمة العمل من القيم الفاضلة التي جاء الإسلام بها، وحث الناس عليها، فدعا المسلمين إلى العمل والمثابرة والمسارعة في الخير، حتى يكتسب الإنسان عيشه بعرق جبينه، ولا يكون عالة على غيره في المجتمع، ولما كان الشعر صورة للواقع الاجتماعي؛ عمل الشعراء الإحيائيون على بث هذه الروح الفاضلة في نفوس الناس، وجعلوها في مقدمة دعوتهم

الشعرية، فالشاعر الجيد هو الذي يشعر بما حوله، ويتفاعل مع ما في واقعه، ويتأثر بما يعيشه الناس، ويوجه خطابه الشعري إلى العامة، وذلك في أسلوب رقيق، وإحساس عميق، وتعبير سام، وتصوير أجل.

وقد دعا شعراء الإحياء إلى قيمة العمل والمثابرة والمسارعة في الخير؛ من أجل نهضة الأمة، ورفعة شأنها، والارتقاء بالمجتمع إلى المثل العليا، وفي هذا المعنى يوجه أمير الشعراء (أحمد شوقي) خطابه إلى طبقة العمال، أن يكدوا ويجتهدوا ويكافحوا من أجل رفعة وطنهم، ونهضة أمتهم، فيقول:(١)

أيها العـ ـمّالُ أفنوا العمْـ ـرَ كَدًّا واجتهادا
واعمروا الأرضَ فلولا سعيُكُمْ أمست يبابا
إن لي نصحًا إليكم إن أذنتم وعتابا
في زمانٍ غَبِيَ النا صِحُ فيه أو تغابا
أين أنتمْ مـ ـن جدو دٍ خلَّدوا هذا الترابا
قلَّدوه الأثرَ المُعجِـ ـزَ والفنَّ العُجابا
وكسَوْهُ أبدَ الدَّهـ ـرِ من الفخر ثيابا
أتقنوا الصنعةَ حتـ ـى أخذوا الخلدَ اغتصابا
إن للمتقِنِ عند الله والناس ثوابا
أتقنوا يُحبِبْكُمُ اللـ ـهُ ويرفعكم جنابا
أرضيتمْ أن تُرى (مصـ ـرُ) من الفن خرابا؟
بعد ما كانت سمـ ـاءً للصناعات وغابا؟

(١) أحمد شوقي (الشوقيات ١/ ٩٠، دار العودة- بيروت ١٩٨٨م.

في هذه الأبيات يخاطب شوقي طبقة اجتماعية مهمة، وهي طبقة العمال الكادحين، والصناع الماهرين، وذلك في أسلوب راق، وتعبيرات مؤثرة، وتصوير دقيق، من شاعر صاغته الحياة ليكون وسيلة بينها وبين أبنائها الآخرين، يذكرهم بمجد أمتهم العريق، وتاريخ وطنهم العتيق؛ وذلك لكي يفنوا أعمارهم في الكد والاجتهاد، والعمل والاكتساب، ويذكرهم بقيمتهم المهمة في مجتمعهم؛ إذ لولاهم لأصبحت مصر أرضًا يبابا خرابا، ثم يوجه إليهم النصح في صورة العتاب، ويذكرهم بأجدادهم العظام، الذين بنوا حضارة تليدة، وأتقنوا الصناعة الزراعة والتجارة، وبنوا مجدهم بكد يمينهم وعرق جبينهم، حتى أصبحوا رموزًا خلدها التاريخ.

ثم يذكرهم بأجرهم وثوابهم عند الله -جل وعلا- إن هم أتقنوا وأجادوا، وكدوا واجتهدوا، فإن الله قد أعد للمتقن أجرًا وثوابًا، وكأني بالشاعر في هذا البيت يستلهم ضياء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) [الكهف ٣٠]، وقول النبي –صلى الله عليه وسلم-: (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ إذا عمِل أحَدُكم عمَلًا أنْ يُتقِنَه)(١)، ولعل لهذا الاستلهام أو الاقتباس دلالة إيحائية، وهي أن شوقيًا يذكر طبقة العمال بربهم، ويلقي في روعهم أنهم أمة العمل والاجتهاد، وأن جزاء العمل رضا الله واستحقاق محبته.

ثم يأتي الاستفهام الإنكاري في البيتين الأخيرين؛ شحذا للهمم، وإيقاظًا للعزائم، وتحفيزًا للغافلين، وتنبيهًا للنائمين، وتذكيرًا لهم بواجب وطنهم على عاتقهم، فلا يصح ولا ينبغي أن تكون مصر أرضًا خرابًا بعدما كانت أرضًا خصبة، تجود للعالم بكل غال ونفيس.

(١) الطبراني (المعجم الأوسط عن عائشة أم المؤمنين، ١/ ٢٧٥.

ولما كان العمل والاجتهاد والسعي على الرزق والاكتساب يحتاج من الإنسان إلى صحة جيدة، وقوة بدنية؛ نادى شوقي على أبناء مجتمعه أن يحافظوا على صحتهم، وأن يستغلوا شبابهم فيما ينفعهم ويرتقي بوطنهم، فلربما يأتي اليوم الذي لا تكون فيه صحة ولا يكون فيه مال، كما ويذكرهم بحرمة الخمر وكل ما يذهب العقل، فيقول:(١)

أيهـــا الغـــادون كالنحـــ ـــــلِ ارتيـــادا وطِلابـــا
في بطـــون الطـــير للـــرز ق مجيئًـــــا وإيابـــــا
اطلبـــوا الحـــق برفـــقٍ واجعلـــوا الواجـــبَ دابـــا
واســـتقيموا يفـــتح اللـــ ـــــه لكـــم بابـــا فبابـــا
واهجـــروا الخمـــرَ تطيـــ ـــعوا اللهَ أو ترضـــوا الكتابـــا
إنهـــا رجـــسٌ فطـــوبى لامـــرئٍ كـــفَّ وتلبـــا
تُـــرعشُ الأيـــدي ومـــن يَـــرْعَشْ مـــن الصُـــناع خابـــا
إنـــما العاقـــلُ مـــن يجـــ ـــعلُ للـــدهر حســـابا
فـــاذكروا يـــوم مشيـــ ـــبٍ فيـــه تبكـــون الشـــبابا
إنَّ للســـــنِّ همومـــــا حـــين تعلـــو وعـــذابا
فـاجعلوا مـن مـالكم للشيـ ـــبِ والضـــعف نصـــابا
واذكـــروا في الصـــحةِ الـــدا ءَ إذا مـــا الســـُّـــقمُ نابـــا

وهكذا دعا شوقي أبناء مجتمعه إلى العمل، وحثهم المثابرة، وحضهم المسارعة في الخير بالكد والاجتهاد، ونفرهم عن كل ما يضرهم أو يقلل من شأنهم، والمتأمل في بنية الأبيات يجد أن إحساس الشاعر بما في الحياة من هموم وآلام أدق وأعمق من إحساس الجماهير، وذلك

(١) أحمد شوقي (الشوقيات) ١/ ٩١.

في أسلوب خلاب، وتصوير جذاب، وتعبير أخاذ؛ حيث نادى عليهم بحرف النداء (يا)، وكأنهم مقربون من قلبه ونفسه وروحه، ثم ذكرهم بماضيهم؛ ليحفزهم ويدفعهم إلى مزيد من بذل الجهد والطاقة، ثم ذكرهم بما لهم عند ربهم إن هم أتقنوا عملهم، وأخلصوا في صناعتهم وجهدهم.

وهكذا كان شوقي شاعر الشعب، معبرًا عن أحلامهم وآمالهم، "فشوقي شاعر الصحف والجمهور، وقد أخذت الصحف المصرية تمتلئ بأدب سياسي وطني، فيه حدّة، وفيه ثورة، وفيه عنف، فاتجه شوقي مع أدباء السياسة يقطّر للشعب عواطفه الوطنية، ومدّ صوته بالغناء والشدو، فأصبح أقوى صوت في الوادي وأجهره، وأفخمه وأحلاه، لا لشيء إلا لقوة فنه، ورعة شعره"(١) ودقة أسلوبه، وجمال بيانه.

وكما حث شوقي الناس على العمل والمثابرة والاجتهاد، فكذلك حافظ إبراهيم قد نعى على الشعب تواكله، وعاب عليه تكاسله، حتى زاحم الأجانب أبناء المجتمع في أرزاقهم وقوتهم، ووجدوا في رحاب تكاسل الشعب موطنًا للعمل والرزق والاكتساب، يصور هذا المعنى حافظ إبراهيم في قوله:(٢)

أرى شعبًا بمدرجة العوادي ... تمخَّخَ عظمَهُ داءٌ عُقامُ
إذا ما مرَّ بالبأساء عامٌ ... أطلَّ عليه بالبأساء عامُ
سرى داءُ التواكل فيه حتى ... تخطَّفَ رزقَهُ ذاك الزحامُ

(١) د/ شوقي ضيف (شوقي شاعر العصر الحديث صـ ١٣٩، مكتبة دار المعارف- القاهرة، ط/ ١٣، بدون تاريخ.

(٢) حافظ إبراهيم (الديوان ٢/ ٥٥، تحقيق أحمد أمين- أحمد الزين- إبراهيم الإبياري، وكالة الصحافة العربية (ناشرون بدون تاريخ.

ثانيًا: العفة والطهارة:

كان لقضية المرأة في عصر النهضة الأدبية الحديثة أثر واضح على الاتجاه الأدبي شعرًا ونثرًا، وكان للشعر دور بارز في قضية المرأة وعفتها وطهارتها ورفعتها عن رذائل الأخلاق، وكانت مشكلة المرأة "من بين المشكلات الاجتماعية التي تجسَّد فيها الصراع بين القديم والجديد، بين ما نشأت عليه المرأة المصرية من حياء وتصون ينأيان بها عن مخالطة الرجال، ومزاحمتهم في الأعمال، وبين ما تمتعت به المرأة الأوربية من تحرر وانطلاق وتربية وتعليم"(١)، وليس من شك أن الشعراء كان لهم دور بارز في هذه القضية، لا سيما قضية الحجاب والسفور، التي كانت مثار جدل بين التيار المحافظ ودعاة النهضة والتحضر.

وكان شعراء التيار الإحيائي على مقربة من هذا الحوار الدائر بين التيارات الفكرية آنذاك، ومتأثرين بما يقرؤونه حول تلك القضية، فهذا حافظ إبراهيم يقف موقف الوسطية والاعتدال من قضية الحجاب والسفور، فلا يميل إلى سفور المرأة وتبرجها وانسلاخها من هويتها وعفتها، واختلاطها بالرجال بداع وبدون داع، وفي ذات الوقت لا يميل إلى التضييق على المرأة، ولكنه يدعو إلى التوسط في تلك القضية، يقول في ذلك: (٢)

أنـا لا أقـول دعـوا النسـاءَ سـوافرا ... بـين الرجـال يَجُلـن في الأسـواقِ
يـدرجن حيـث أردن لا مـن وازعٍ ... يَحْـذَرْنَ رِقْبَتَـهُ ولا مـن واقـي
يفْعَلْـن أفعـالَ الرجـال لواهيـا ... عـن واجبـات نـواعس الأحـداقِ

(١) د/ نبيل سليمان طبوشة (الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ من ١٨٨٢ إلى ١٩١٩م صـ١١٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

(٢) حافظ إبراهيم (الديوان صـ ٢٨٢، تحقيق أحمد أمين- أحمد الزين- إبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

في دورِهـــنَّ شـــئونُهنَّ كثـــيرةٌ كشـــئونِ رَبِّ الســـيف والمـــزراقِ
كـــلا ولا أدعـــوكمُ أن تســـرفوا في الحَجْـــبِ والتضـــييقِ والإرهـــاقِ
ليســـت نســـاؤكمُ حُـــلا وجـــواهرًا خـــوفَ الضَّـــياع تَصـــانُ في الأحـــداقِ
ليســـت نســـاؤكمُ أثاثًـــا يُقتنـــى في الـــدور بـــين مخـــادعٍ وطبـــاقِ
تتشـــكَّلُ الأزمـــانُ في أدوارهـــا دوَلًا وهـــنَّ عـــلى الجمـــود بـــواقي
فتوســـطوا في الحـــالتين وأنصـــفوا فالشـــرُّ في التضـــييق والإرهـــاقِ
ربـــوا البنـــاتِ عـــلى الفضـــيلة إنهـــا في المـــوقفين لهـــنَّ خـــيرُ وفـــاقِ
وعلـــيكمُ أن تســـتبين بنـــاتُكُم نـــورَ الهـــدى وعـــلى الحيـــاء البـــاقي

قارئ هذه الأبيات يرى أثر الواقع الاجتماعي بارزًا؛ حيث يتفاعل الشاعر مع قضية المرأة، ويبدي رأيه حول حجاب المرأة وسفورها، ويتخذ رأيًا وسطيًا بين دعاة التغريب ودعاة المحافظة، ثم يذيل أبياته بالدعوة إلى العفة والطهارة، وتربية البنات والنساء على الفضيلة والكرامة، تلك التربية التي تكون لهن خير معين في زمان التغريب والفجور والسفور، وإنما كان هذا الإحساس نابعًا من ثقافة إسلامية أثيرة، وشعور متدفق بما حوله من قضايا اجتماعية، تشغل عقول الناس وأفكارهم، وقد كان هذا الشعور من حافظ إبراهيم نابعًا من اعتقاده أن الشاعر ذو وظيفة اجتماعية، يعبر عن آلام المجتمع وقضاياه ومشاكله، ويعالج ظواهره في أسلوب شعري أخاذ.

وفي سياق تعليم المرأة وتربيتها وإعدادها إعدادًا جيدًا يليق بمهمتها الأساسية في تربية النشء على القيم الفاضلة، والمبادئ الراقية، والأخلاق العالية، يقول حافظ إبراهيم في هذا الصدد:

الأم مدرســـــةٌ إذا أعـــــددتها أعـددتَ شـعبًا طيّـبَ الأعـراقِ
الأم روضٌ إن تعهَّـــدَهُ الحيـــا بـــالرَّيِّ أورَقَ أيـــما إيـــراقِ
الأم أســـتاذُ الأســـاتذة الألى شـغَلَتْ مـآثرَهم مـدى الآفـاقِ

وعلى هذا الوتر الحساس يضرب شاعر آخر من الشعراء المحافظين، وهو (أحمد محرم)، الذي تأثر بتلك القضية كثيرًا، وجعلها بارزة في تجاربه الشعرية، وأبدى رأيه في قضية المرأة، ودعا إلى عفتها وطهارتها، وإعدادها إعدادًا يليق بها وبدورها؛ لكونها "الأساس الذي يقوم عليه الإصلاح، فالأم النافعة رحمة وهدى لقومها، والأم الجاهلة نكبة قوية، وما دامت الأم ذات خلق عال، ورأي سديد فسينشأ الشعب على قوة الأخلاق، وصدق العزيمة"(١)، يقول أحمد محرم في هذا السياق: (٢)

لا تيأســـوا وأعـــدوا الأم صـــالحةً فهـي السـبيلُ إلى إصـلاح مـا فسـدا
الأم للشـــعب إمـــا رحمـــةٌ وهـــدى أو نكبـــةٌ مـا لهـا مـن دافـعٍ أبـدا
لا يـذهبُ الشـعبُ في أخلاقـه صـببا الأمُ تـــذهبُ في أخلاقهـــا صـــعدا
لـــن ينفـعَ العلـمُ والأخـلاقُ فاسـدةٌ والـــنفسُ جامحـــةٌ لا تتبـــعُ الرشـــدا
وجاهـــلٌ ظـــنَّ أن العلـــمَ مفســـدةٌ للبنـــت فـــانتقص التعلـــيم وانتقـــدا
مهـــلًا فـــربَّ فتـــاةٍ أهلكـــت أُسرًا بجهلهـــا وعجـــوزٌ أفســـدت بلـــدا
أعملـتُ رأيـيَ في معنـى الحيـ ـاة لَعَـلْ يبنـي الحيـاةَ فكـان البيـتَ والولـدا
هـــذا يُصـــانُ بتـــدبيرٍ ومعرفـــةٍ وذا يعَـــدُّ لإصـــلاح الـــبلاد غـــدا

(١) د/ نبيل سليمان طبوشة (الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ صـ ١٣٤.
(٢) أحمد محرم (الديوان ٣/ ١٥٠.

والمتأمل في هذه الأبيات يرى أن الشاعر يتفاعل مع تلك القضية المهمة في المجتمع المصري آنذاك، وعلى الرغم من أنه "قد نادى في صيحاته الاجتماعية بضرورة التعليم كدعامة راسخة يرتكز عليها بناء النهضة، فقد وجد من الناس من ظن به رغبة عن تعليم الفتاة والنهوض بها إلى ذروة الرقي، رغم ما امتلأ به ديوانه من حث على ثقافة المرأة، وإيضاح لمركزها الدقيق، الذي تحتله في المجتمع. ولعل هذا الظن الخاطئ قد أتى من مهاجمة الشاعر لدعوة التحرير التي رفع لواءها قاسم أمين، ونحن إذا نظرنا لهذه الدعوة نجد صاحبها يحث على تعليم المرأة، وتهذيبها عن طريق السفور والتملل من الحجاب! والشاعر وإن كان من المنادين بضرورة تثقيف الفتاة لا يوافق على السفور مهما تكاثرت المبررات، فاندفع إلى مهاجمة قاسم متأثراً بعاطفته الدينية، التي تحرم التبرج تحريماً قاطعاً، وما كان له أن يحيد عن ذلك، وهو يضع كتاب الله نصب عينه. ولعله كان ينظر من وراء الغيب إلى ما سيجره السفور من فتن؛ فشدد عليه النكير. فمحرم إذن يكتفي بضرورة تعليم الفتاة دون ما عداه، فليس لها أن ترتع في الأسواق، وتزاحم الرجال فيما لم تهيأ له من الأعمال"(١).

ومن خلال هذه النصوص الشعرية يتجلى أن للشعر دورًا مهمًا في إبراز القضايا الاجتماعية، وترسيخ الأخلاق الراقية، والقيم الفاضلة، وكيف أنه وسيلة في الدعوة إلى العفة والطهارة في أسلوب جزل، وعبارات مؤثرة، وصور دقيقة وتعبيرات رقيقة. كما يتبين أن شعراء الإحياء قد أيدوا الدعوة إلى تربية المرأة تربية صحيحة، وإعدادها إعدادًا جيدًا؛ لتكون لبنة طيبة في بناء المجتمع الصالح القوي.

(١) د/ محمد رجب البيومي (العاطفة الدينية في شعر أحمد محرم مجلة الرسالة، عدد ٨٢٠، بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٤٩م.

ثالثا: الحث على العلم:

كانت قضية العلم والتعلم من القضايا الاجتماعية المهمة في العصر الحديث، وقد انبرى الشعراء لحث أبناء المجتمع وحضهم على العلم، وتحذيرهم من الجهل والجمود والتخلف، والمطالع للشعر العربي في العصر الحديث، لاسيما شعراء الإحياء والبعث، يجد أن قضية العلم من أبرز القضايا الشعرية، التي تحدث عنها الشعراء، وبينوا دور العلم في نهضة الأمم والارتقاء بالشعوب، ودور الجهل في اندثار الأمم وتدني الشعوب، فهذا رائد النهضة الأدبية الحديث (محمود سامي البارودي) يتحدث عن قوة العلم ودوره في الارتقاء بالأمم وتقدمها فيقول:(١)

بقـ ـوةِ العلـــم تَقـــوَى شـــوكةُ الأمـــ ـم ... فـالحكمُ في الـدهر منسـوبٌ إلى القلـ ـم

كـم بـين مـا تَلْفِـظُ الأسـيافُ مـن عَلَـ ـقٍ ... وبـين مـا تَنْفُـثُ الأقـلامُ مـن حِكـمِ

لـو أنصـفَ النـاسُ كـان الفضـلُ بيـنهمُ ... بقطـــرةٍ مـــن مـــدادٍ لا بســـفكِ دمِ

فـاعكِف عـلى العلـم تبلـغْ شـأوَ منزلـةٍ ... في الفضـلِ محفوفـةٌ بـالعز والكـرمِ

فلـــيس يجنـــي ثـــمار الفـــوز يانعـــةً ... مـن جنـةِ العلـمِ إلا صـادقُ الهمـمِ

لـــو لم يكـــنْ للمســـاعي مـــا يبـــين بـــهِ ... سبقُ الرجال تساوَى النـاسُ في القمـمِ

وللفتـــى مُهلـــةٌ في الـــدهر إن ذهبـــتْ ... أوقاتُهـــا عبثًـــا لم يَخْـــلُ مـــن نـــدمِ

لـــولا مُداولـــةُ الأفكـــار مـــا ظهـــرت ... خـزائنُ الأرضِ بـين السـهل والعَلَـمِ

كـــم أمـــةٍ درســـت أشـــباحُها وسرت ... أرواحهـــا بيننـــا في عـــالم الكلـــم

(١) محمود سامي البارودي (الديوان صـ ٥١١، تحقيق علي الجارم، محمد شفيق معروف، دار العودة- بيروت ١٩٩٨م.

في هذه الأبيات يصور البارودي قيمة العلم ومكانة القلم في نهضة الأوطان، ورفعة الأمم، ويذكر أن للعلم اتساعًا وانتشارًا وحكمًا وسلطانًا، إذ به تنهض الأمة من كبوتها، ومن خلاله ترتقي الشعوب وتصحو من غفوتها، ويعقد الشاعر مقارنة بين أثر السيف والقلم في الشعوب، فالسيف لا شك يسيل الدماء، ويزهق الأرواح، ويحصد الرؤوس، أما القلم فينفث الحكم، ويسطر العلوم، ويدون المعارف، التي تنفع البشرية، وتعين على التحضر والتقدم والرقي، فلو أنصف الناس لكان الفضل فيما بينهم بمقدار علمهم لا بمقدار قتلهم الناس وسفكهم دماءهم.

ولذلك يأتي البيت الرابع بصيغة الأمر للمتلقي أن يعكف على العلم والمدارسة، ويواظب على التعلم؛ حتى يبلغ الغاية، ويصل إلى المجد والسؤدد، فليس يجني ثمار العلم إلا الإنسان الصادق في همته، المواظب على تعلمه، والمداوم على درسه. ولم يضيع وقته في اللهو واللعب، وإنما يعلم تمامًا أن الوقت هو الحياة، وأن للفتى مهلة من الوقت إن ضيعها؛ لازمه الندم، ولات ساعة مندم.

وفي شعر شوقي كثير من التجارب التي حث فيها على العلم، وبين الدور المهم الذي يقوم به المعلم، وأنه الركيزة الأساسية التي يخرج الأجيال المتعلمة، ففي قصيدته (العلم والتعليم وواجب المعلم) يقول:(١)

قم للمُعَلم وفِّهِ التبجيلا ... كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلِمْتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي ... يَبني ويُنشئُ أنفُسًا وعقولا

سبحانك اللهم خيرُ مُعَلِّمٍ ... علَّمْتَ بالقلم القرونَ الأولى

أخرجتَ هذا العقلَ من ظلماتهِ ... وهديته النورَ المبينَ سبيلا

وطبعته بيد المعلم تارةً ... صدئَ الحديدِ وتارةً مصقولا

(١) أحمد شوقي (الشوقيات ١/ ١٨٠.

يصور الشاعر في هذه الأبيات دور المعلم، ويبرز أهميته في المجتمع، وأن مهنته أهم مهنة ورسالته أشرف رسالة؛ لكونها قبسًا من نور رب العالمين، ولذلك ينبغي على المعلم أن يؤدي دوره المنوط به في رفعة الأمم، ونهضة الأوطان، ومن هنا يؤكد شوقي على هذه المكانة، ويصور أهمية الأخلاق في المجتمع، ودور التربية الصالحة التي تنشئ الأجيال على القيم الفاضلة والأخلاق العالية، يقول الشاعر:(١)

ربّوا على الإنصاف فتيانَ الحِمَى ... تجدوهُمُ كهفَ الحقوق كهولا
فهو الذي يبني الطباعَ قويمةً ... وهو الذي يبني النفوسَ عدولا
ويقيمُ منطقَ كلِّ أعوج منطقٍ ... ويريه رأيًا في الأمور أصيلا
وإذا المعلمُ لم يكن عدلا مشى ... روحُ العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحْظَ بصيرةٍ ... جاءت على يده البصائرُ حُولا
وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ... ومن الغرور فسمِّه التضليلا
وإذا أصيب القومُ في أخلاقهم ... فأقمْ عليهم مأتمًا وعويلا

في هذه الأبيات التي تفيض بالإحساس الصادق، والشعور الدافق، يجسد الشاعر أهمية المعلم وقيمة رسالته، وأن لهذه المهنة دورًا مهمًا في غرس الفضائل في نفوس المجتمع، وبث القيم في أبنائه، أما إذا أصيب القوم في الأخلاق، وابتلوا في الفضائل؛ فلا قيمة لهم ولا مكانة بين الناس، ولا ينهض ببناء المجتمع إلا خلق قويم، وعلم يرفع شأنهم، ويقوّم اعوجاجهم.

(١) المرجع السابق ١/ ١٨٢.

وعلى هذا النمط من الشعور العميق والتصوير الدقيق سار أحمد شوقي في حديثه عن دور الأزهر ومكانته العلمية في الأمة، وذلك في قصيدته الأثيرة (الأزهر)، والتي يقول في مطلعها:(١)

قم في الدنيا وحيِّ الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدرِّ إن فصلته ... في مدحه خَرَزَ السماء النيرا
واذكره بعد المسجدين معَظِّما ... لمساجد الله الثلاثة مُكْبرا
واخشعْ مليًّا واقضِ حق أئمةٍ ... طلعوا به زهرًا وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالةً ... وأعزَّ سلطانا وأفخمَ مظهرا

وفي تجربة لحافظ إبراهيم يشيد فيها بالجامعة ودورها في بث العلم وغرسه في نفوس الطلاب، ومكانتها المهمة في المجتمع وارتقاء الأمة ونهضتها، فيقول في قصيدة (في الحث على تعضيد مشروع الجامعة):(٢)

حياكمُ الله أحيوا العلمِ والأدبا ... إن تنشروا العلمَ ينشرْ فيكم العَرَبا
ولا حياةَ لكم إلا بجامعةٍ ... تكونُ أمًّا لطُلاب العلا وأبا
تبني الرجالَ وتَبني كلَّ شاهقةٍ ... من المعالي وتَبني العزَّ والغَلَبا

ومن خلال من سبق يتبين أن شعراء التيار الإحياء قد تفاعلوا مع قضية العلم، وأولوها عناية كبيرة في تجاربهم؛ حيث حثوا أبناء المجتمع على العلم، وبينوا دوره في رفعة الأمة وارتقائها، وكيف أن العلم يرفع بيوتًا لا عماد لها، وأن الجهل يهدم بيت العز والكرم.

(١) الشوقيات ١/ ١٥١.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم صـ ٢٧٢.

رابعًا: الحث على الحرية:

لقد ظل الشعر العربي رديف الحرية في كل العصور، وعاش الشاعر قديمًا في كنفها، معبرًا عما يجيش في صدره دون تقييد أو كبت أو استبداد، وفي العصر الحديث عاش شعراء الإحياء في فترة زمنية مشحونة بالنضال، ومتأججة بالثورة؛ حيث كان الاحتلال الأجنبي جاثمًا على صدر الأمة، فانبرى الشعراء مدافعين عن كرامة مصر وحقها في الاستقلال والحرية.

وكان من أبرز الموضوعات التي عالجها شعراء الإحياء الشعر الوطني؛ حيث تفاعلوا مع قضايا الوطن ومشكلاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكذلك بعض الأحداث الكبرى التي كانت خارج حدود الوطن، "وعالجوا كل قضايا مصر ومشكلاتها، وأبرزها أحداث العالم الإسلامي، وتطوراته، وكثيرًا من شئون العالم الخارجي وأزماته... وهم في كل ذلك معبرون عن روح الفترة، مستجيبون لطابعها العام، وهو طابع النضال من أجل الخلافة الإسلامية، والنضال من أجل بعض الدول الإسلامية وطمع الاحتلال فيها، والنضال من أجل الوطن، واستبداد المحتلين به، والنضال من أجل رقي المجتمع وإنهاضه مما فرض عليه من جمود وتخلف، وقد أبلوا البلاء الحسن حين استخدموا الشعر سلاحًا في معركة النضال"[1]، واتخذوه وسيلة لتحريك المجتمع وإيقاظه من كبوته، وتنبيهه من غفلته.

ويرى هؤلاء الشعراء أن وظيفة الشعر تكمن في التعبير عن أحاسيس الناس، وآمال المجتمع، وتطلعات أبنائه، وصراعهم في الحياة؛ ولذلك كان الشعر الإحيائي ممزوجًا بالواقع الاجتماعي والسياسي والوطني والثقافي، مكثفًا بالحديث عن الحرية والكرامة، ورافضًا

(١) د/ أحمد هيكل (تطور الأدب الحديث في مصر من أول القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية صـ ١٣٥، دار المعارف، ط/ ٦ / ١٩٩٤م.

للخنوع والاستسلام، ففي تجربة للبارودي يحث فيها القوم على المطالبة بالحرية والاستقلال، وينفرهم من الخنوع والاستكانة، يقول:(١)

فيا قوم هبوا إنما العمر فرصةٌ ... وفي الدهر طرقٌ جمَّةٌ ومنافعُ
أصبرًا على مَسِّ الهوانِ وأنتمُ ... عديدُ الحصى إني إلى الله راجعُ
وكيف ترون الذلَّ دار إقامةٍ ... وذلك فضل الله في الأرض واسع
أرى أرؤسًا قد أينعت لحصادها ... فأين وإلى أين السيوفُ القواطعُ؟
فكونوا حصيدًا خامدين أو افزعوا ... إلى الحرب حتى يدفعَ الضيمَ دافعُ

في هذه الأبيات يخاطب البارودي أبناء المجتمع أن يهبوا من سباتهم، ويستفيقوا من غفوتهم؛ لكي يطالبوا بحريتهم، وينالوا استقلالهم، فإنما العمر فرصة لتحقيق مثل هذه المطالب الغالية، والإنسان الأبيّ هو الذي لا يرضى بحياة الذل، ولا يركن لعيش الخنوع؛ فلن يهب يأخذ الروح إلا خالقها.

ويتجلى أثر التراث واضحًا في هذه الأبيات –وتلك طبيعة شعر البارودي–؛ حيث يستلهم مقولة رويت عن الحجاج بن يوسف الثقفي: (إني أرى رؤوسًا قد أينعت، وحان قطفها)، يستلهم البارودي هذه المقولة ليسقطها على واقعه، وليوظفها في تجربته توظيفًا فنيًا رائعًا، فالشاعر يستثير همم الناس، ويشحذ عزيمتهم؛ لكيلا يعيشوا في ذل وهوان؛ فإن هم عاشوا كذلك استحقوا أن يكونوا رؤوسًا أينعت لحصادها، فإما أن يكونوا حصيدًا خامدين للذل خاضعين، وإما أن يثوروا ويطالبوا بحريتهم ويعيشوا في رفعة وعزة واستقلال.

وكما كان البارودي شاعرًا وطنيًا، يعيش آلام قومه، ويكابد أحزانهم، فكذلك كان شوقي، محبًا لمصر، مخلصًا لها، مطالبًا بحريتها واستقلالها، متفاعلًا مع قضاياها الجوهرية،

(١) ديوان البارودي صـ ٣١٨- ٣١٩.

ومشكلاتها الاجتماعية والسياسية، ففي حفل لتكريم الشباب المجاهدين الذين أدانتهم المحاكم العسكرية الإنجليزية يقول:(١)

جادوا بأيام الشباب وأوشكوا ... يتجاوزون إلى الحياة الجودا
طلبوا الجلاءَ على الجهاد مثوبةً ... لم يطلبوا أجر الجهاد زهيدا
والله ما دون الجلاء ويومِه ... يومٌ أتسميه الكنانة عيدا
وجدَ السجينُ يدًا تُحَطِّمُ قيدَه ... مَنْ ذا يُحَطِّمُ للبلاد قيودا؟!
ربحت من (التصريح) أنّ قيودَها ... قد صِرْنَ من ذهبٍ وكُنَّ حديدا
أوَ ما ترونَ على (المنابع) عُدةً ... لا تنجلي، وعلى الضفاف عديدا؟
يا فتيةَ النيل السعيدِ خذوا المدى ... واستأنفوا نفَسَ الجهاد مديدا
وتنكبوا العدوان، واجتنبوا الأذى ... وقفوا بمصر الموقفَ المحمودا

في هذه الأبيات يحيي شوقي هؤلاء الشباب، ويشيد ببطولاتهم وتضحياتهم في سبيل مجد الأمة ورفعة شأنها، والحصول على استقلالها، "ويقسم أن الجلاء هو عيد مصر، وأنه لا أعياد ما دام الإنجليز يحتلون مصر، ويتشوق إلى اليوم الذي تحطم في البلاد أغلالها، ويندد بتصريح ٢٨ فبراير(٢)؛ لأنه بدل أن يقيدها بقيود من حديد قيدها بقيود من الذهب، واستشهد على ذلك بما رآه من الوجود الإنجليزي على أرض مصر والسودان"(٣)، ولا شك أن هذه دعوة إلى الحرية، وحث على المطالبة بالاستقلال، وتحية من الشاعر إلى شباب ناضلوا، ودافعوا، وبذلوا كل غال ونفيس لاستقلال وطنهم، وكرامة أمتهم؛ ولعل الداعي إلى هذا الإجلال من

(١) الشوقيات ١/ ١١١.

(٢) هو تصريح أعلنته بريطانيا في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م بإنهاء الحماية البريطانية على مصر، وأن مصر دولة ذات سيادة مستقلة.

(٣) د/ حسن الكبير (تطور القصيدة الغنائية... صـ ٧٣.

شوقي لهؤلاء الشباب يكمن في شحذ الهمم، واستثارة العزائم، وإيقاظ الشعوب؛ لكي تقوم من سباتها، وتنهض من غفوتها.

وعلى هذا النمط كان حافظ إبراهيم في حبه لوطنه، وتفاعله مع قضايا مجتمعه، ومخلصًا لأمته، وحريصًا على وحدتها وتماسكها، وداعيًا إلى التضامن، والتسامح، والحرية، والاستقلال، يرشد أبناء مصر إلى الطريق القويم، والنهج السليم، مستنهضًا عزائمهم، لاستعادة مجدهم، ونيل كرامتهم، والتغلب على صعوبات حياتهم؛ ولذلك نراه يقول:(١)

قم يا ابن مصـ ـرَ فأنت حرٌ واستعدْ ... مجدَ الجدود ولا تعد لمراح
شَمِّرْ وكافحْ في الحياة فهذهِ ... دنياكَ دارُ تناحرٍ وكفاحِ
وانهلْ مع النُّهَّال من عذبِ الحيا ... فإذا رقا فامتحْ مع المُتاحِ
وإذا ألحَّ عليكَ خَطْبٌ لا تَهُنْ ... واضربْ على الإلحاح بالإلحاحِ
وخضْ الحياة وإن تلاطمَ موجُها ... خوضَ البحارِ رياضةَ السبَّاحِ
واجعلْ عيانَكَ قبلَ خَطوكَ رائدًا ... لا تحسَبَنَّ الغمرَ كالضَّحْضاحِ(٢)

المتأمل في بينة الأبيات يدرك فوران الحس الوطني والاجتماعي في وجدان حافظ إبراهيم، وأن هذا الإحساس كان استجابة لروح المجتمع، وحاجة العصر، وتفاعلًا مع قضايا الناس، وأحوالهم، وقد كان حافظ بهذا الاتجاه الاجتماعي البارز في شعره "مدركًا لدور الفن في خدمة الحياة، ولدور الشعر خاصة في مجال النضال من أجل حياة عزيزة شريفة"(٣)، ومن هنا كانت تجاربه شحذًا للهمم، ودافعًا على النضال من أجل الحرية، والجهاد من أجل الكرامة، وكفاحا من أجل الاستقلال.

(١) ديوان حافظ إبراهيم صـ ٤١٧.

(٢) الغمر: الماء الكثير، الضحضاح: الماء القريب الغور.

(٣) د/ حسن الكبير (تطور القصيدة الغنائية... صـ ٩٠.

ومن خلال ما سبق يتبين أن شعراء الإحياء كانوا متفاعلين مع روح المجتمع، مصورين ما ينتاب الناس من قضايا وآلام، وتطلعات وأحلام، وهم بهذا الاتجاه قد عبروا عن روح الجماعة، ونقلوا الشعر من الذاتية إلى الجماعية، ومن الخصوصية إلى العمومية، وقد كانت الظواهر الإيجابية التي حث عليها هؤلاء الشعراء نابعة من وجدان صادق، وشعور متدفق، وعاطفة جياشة، وإحساس برسالة الشعر ومدى دوره في إبراز القيم، وترسيخ الفضائل والأخلاق، ولا شك أن العاطفة الدينية قد تجلت واضحة في دعوة الشعراء إلى هذه الظواهر التي يحتاج إليها المجتمع؛ وذلك من خلال استلهام التراث الإسلامي، وتوظيفه، وإسقاطه على الواقع الاجتماعي المعاصر.

المبحث الثاني
الظواهر السلبية والتحذير منها

كان المجتمع المصري في العصر الحديث منفتحًا على الحضارة الغربية بكل ما فيها من سلبيات وإيجابيات، وتأثر أبناء المجتمع بكل وارد على ثقافتهم، وكان نتيجة هذا الانفتاح الحضاري أن عمل الاحتلال الأجنبي على بث روح الخلاعة والفجور، وانتشار الفساد وتفشي الفواحش بين الناس؛ "قصدًا لحل عروة الدين، وإزاحة القيم الإسلامية عن مكان الصدارة في نفوس الشعب، وابتغاء قتل العواطف الزاكية، وإماتة الأحاسيس النبيلة الراقية"(١)، وقد تصدى الشعراء المحافظون لهذا التيار الجارف من الانحلال الأخلاقي والتفكك الاجتماعي، فكانت تجاربهم الشعرية دعوات للرقي الأخلاقي، وصرخات من ضمائر حية تحس بما يؤول إليه الحال إن استمر الناس على ما هم فيه من ترد في الأخلاق واختلال في القيم.

ومعلوم أن الشعر العربي وسيلة مهمة في الدعوة والإرشاد، وعامل من عوامل الإصلاح الاجتماعي، وكما أن شعراء التيار الإحيائي أشادوا بالظواهر الاجتماعية المهمة، وأبرزوها بصورة جلية في تجاربهم، وحثوا على الالتزام والتخلق بها، فكذلك نظروا إلى المجتمع ورأوا أن هناك أمورًا سادت بين الناس، وانتشرت في المجتمع، فتفاعل الشعراء مع هذه الظواهر، وحذروا أبناء المجتمع منها، وبينوا ضررها، وعملوا على إصلاحها، وكان من أبرز هذه الظواهر السلبية ما يلي:

أولا: الفساد الأخلاقي:

شكلت هذه الظواهر السلبية الأخلاقية في المجتمع المصري جزءًا كبيرًا وصورة واضحة في السلوك العام لأبناء المجتمع حينذاك، وقد صور الشعراء الإحيائيون هذه المفاسد

(١) ينظر: د/ نبيل سليمان طبوشة (الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ صـ ٩٧.

الاجتماعية، وحذروا منها أبناء الشعب، وكان من أهم هذه المظاهر الانحرافية في المجتمع، آفة الرشوة، والتي تؤدي بالبلاد إلى الفساد والهلاك، وتنشر بين أبناء المجتمع الأنانية وحب الذات، وقد تصدى الشعراء لمثل هذه الظاهرة بالنقد اللاذع، والهجوم العنيف على من يتصف بها، فهذا حافظ إبراهيم ينعى على مهندس مصري مسئول عن ماء النيل آثر التعامل بالرشوة لدى أبناء مجتمعه، ومنع الماء عن الذين لا يدفعون، فقال حافظ مشنعًا هذه الصفة:(١)

ومهنـــدسٍ للنيـــل بـــات بكفـــهِ مفتـــاحُ رزق العامـــلِ المِطـــراقِ
تنـــدَى وتيـــبُسُ للخلائـــقِ كفُّـــهُ بالمـــاء طـــوعَ الأصـــفرِ الـــبرَّاقِ
لا شيء يلـــوي مـــن هـــواه فحـــدُّهُ في الســـلب حـــدَّ الخـــائنِ السرَّـــاق

وقد تجلت هذه الخاصية في شعر حافظ بوضوح ظاهر؛ حيث تعددت التجارب والقصائد التي يدعو فيها أبناء مجتمعه إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والابتعاد عن المفاسد والانحرافات السلوكية التي تؤدي بالمجتمع إلى الهلاك والدمار، ففي القصيدة السابقة لشاعر النيل يصور الفساد الأخلاقي وبعض مظاهره التي شاعت بين الناس آنذاك فيقول: (٢)

كـــم عـــالمٍ مـــدَّ العلـــومَ حبـــائلًا لوقيعـــــةٍ وقطيعـــــةٍ وفـــــراقِ
وفقيـــه قـــوم ظـــل يرصـــد فقهـــهُ لمكيـــــدةٍ أو مســـــتحِلِ طـــــلاقِ
يمشي ـــ وقـــد نُصـــبَتْ عليـــه عمامـــةٌ كـــالبرج لكـــن فـــوق تَـــلِّ نفـــاق
وطبيـــبِ قـــومٍ قـــد أحـــلَّ لطبـــه مـــا لم تُحِـــلُّ شريعـــةُ الخـــلّاقِ

(١) ديوان حافظ إبراهيم صـ٢٨١.

(٢) السابق صـ ٢٨٠.

قتــلَ الأجنَّــةَ في البطــون وتــارةً جمــع الــدوانقَ مــن دمٍ مهــراقِ
أغــلى وأثمــنُ مــن تجــاربِ علمــه يــوم الفخــارِ تجــاربُ الحــلاقِ
وأديــبِ قــوم تســتحقُ يمينُــهُ قطــعَ الأنامــلِ أو لظــى الإحـراقِ
يلهــو ويلعــبُ بــالعقولِ بيانُــهُ فكأنّــه في الســحر رُقيــةُ راقِ
في كفّــهِ قلــمٌ يمُــجُّ لُعابُــه سُــمًا وينفُثُــهُ عــلى الأوراقِ
يــردُ الحقــائقَ وهـي بــيضٌ نُصَّــعُ قدســيةٌ عُلويّــةُ الإشراقِ
فيردُّهــا ســودا عــلى جنباتهــا مــن ظُلمـةِ التمويــه ألــفَ نطــاقِ
عريــتْ عــن الحــق المطهَّــر نفسُــهُ فحيلتــه ثِقَــلٌ عــلى الأعنــاقِ

في هذه الأبيات يصور حافظ الواقع الاجتماعي المتردي والمنغمس في الأخلاق السيئة التي لم تترك طائفة من أبناء المجتمع، فقهاء وأطباء وأدباء، الجميع انسلخ من مهمته ووظيفته، وأخذ يلهث وراء النفاق والخداع والشقاق، بزعم المدنية والتحضر، ونلاحظ أن حافظًا لم يترك رفقاءه من الأدباء والشعراء، بل توجه إليهم بالنقد اللاذع والهجوم الشرس؛ "لأنهم لم يلتزموا صدق الكلمة في فنهم، بل شوهوا الحقائق، وطمسوا معالمها؛ استجابة لهوى نفوسهم، أو مطمع حزبهم أو طائفتهم"(١)، وهكذا أدرك حافظ إبراهيم أهمية رسالته في توجيه مجتمعه إلى قيم فاضلة، وأخلاق راقية.

وعلى هذا النمط سار شوقي في كثير من تجاربه الشعرية، حيث أخذ يدعو قومه إلى التحلي بمكارم الأخلاق، والابتعاد عن مساوئها، غير أن شوقيًا قد اتخذ في نقده للواقع السياسي والاجتماعي طريقة فنية أخرى، معتمدًا على الرمز والإيحاء والتمويه والإسقاط، وذلك من خلال ما نشره في الجزء الرابع من دواوينه، وهي الحكايات التي حكاها على لسان الحيوان

(١) ينظر: د/ حسن الكبير (تطور القصيدة الغنائية... صـ ٨٥.

والطير، والتي اتسمت بالإيحاء والتلميح، وابتعدت عن المباشرة والتصريح، وقد كانت هذه الحكايات الشعرية نقدًا لاذعًا من الشاعر لسلبيات المجتمع وأخلاقيات الناس التي تفشت بين أبناء الشعب حكامًا ومحكومين، وكان من أبرز هذه الحكايات الرمزية (النملة الزاهدة- الثعلب والديك- سليمان والهدهد- فأر الغيط وفأر البيت- الجمل والثعلب- الأسد والضفدع- سليمان والطاوس- اليمامة والصيد...) وغيرها من القصص التي تتكثف بالرموز والإيحاءات الاجتماعية والسياسية.

وأستشهد من هذه القصائد نموذجًا يتحدث فيه الشاعر عن آفة أخلاقية انتشرت بين أبناء المجتمع، وهي آفة النفاق والخداع، والمكر والمراوغة، ففي قصيدة (الثعلب والديك)، يقول شوقي: (١)

بَـــرَزَ الثَعلَـــبُ يَومـــاً ... في شِـــعارِ الواعِظينـــا
فَمَشـــى في الأَرضِ يَهـــذي ... وَيَسُـــبُّ الماكِرينـــا
وَيَقـــولُ الحَمـــدُ للـــ ... ـــه إلـــه العالمينـــا
يـــا عِبـــادَ اللهِ توبـــوا ... فَهـــوَ كَهـــفُ التائِبينـــا
وَازهَـــدوا في الطَـــيرِ إِنَّ للـــ ... ـــعَيشَ عَـــيشُ الزاهِـــدينا
وَاطلُبـــوا الـــديكَ يُـــؤَذِّن ... لِصَـــلاةِ الصُـــبحِ فينـــا
فَـــأَتى الـــديكَ رَســـولٌ ... مِـــن إِمـــامِ الناسِـــكينا
عَـــرَضَ الأَمـــرَ عَلَيـــهِ ... وَهـــوَ يَرجـــو أَن يَلينـــا
فَأَجـــابَ الـــديكُ عُـــذرًا ... يـــا أَضَـــلَّ المُهتَـــدينا
بَلِّـــغِ الثَعلَـــبَ عَنّـــي ... عَـــن جـــدودي الصـــالِحينا

(١) أحمد شوقي (الشوقيات جـ ٤ صـ ١٥٠.

عَـــن ذَوي التيجـــانِ مِمَّـــن دَخَـــلَ الـــبَطنَ اللَعينـــا
أَنَّهُـــم قـــالوا وَخَـــيرُ للـــ ـــقَولِ قَـــولُ العارِفينـــا
مُخطِـــئٌ مَـــن ظَـــنَّ يَومًـــا أَنَّ لِلثَعلَـــبِ دينـــا

ثانيًا: الفقر والبطالة:

من الآفات الاجتماعية التي انتشرت في المجتمع المصري إبان النهضة الأدبية الحديثة آفة الفقر والبطالة بين أبناء الشعب، والتي ترجع أسبابها إلى الفساد السياسي والاجتماعي آنذاك، وقد تصدى الشعراء المدافعون عن ثوابت المجتمع وقيمه الفاضلة إلى هذه الآفة، فأخذوا يحثون الناس على العمل والكد والاجتهاد، ويحفزونهم على التفاني والإخلاص في كل ما يسند إليهم من أعمال، كما أخذوا يحذرون من التكاسل وحياة الدعة والبطالة، بل حذروا المجتمع من كل الطرق التي تؤدي إلى انتشار الفقر بين الناس، فصوروا ما كان عليه بعض أبناء الشعب من آفة القمار والميسر، والتي انتشرت بين طوائف الناس، فكانت سببًا في خراب بيوتهم، وأورثتهم حياة بائسة في عيشهم، ومهانة وذلًا في كرامتهم، وفي ذلك يقول أحمد شوقي مصورًا هذه الآفة وما ينتج عنها:(١)

ضربـــتْ بالمُضـــاربين الطبـــولُ حيـــث كـــلٌّ بـــأمره مشـــغولُ
كـــلَّ يـــومٍ يمضي ـــ غنـــيٌ وجيـــهٌ وعـــلى إثـــره سريٌّ جليـــلُ
ويبيـــعُ الأثـــاث مـــن لـــيس بالمثـ ـري حـــدا بـــه التطفيـــلُ
كـــان مـــن ثـــروةِ الـــبلاد قليـــلٌ بعـــد عـــامٍ يـــزول ذاك القليـــلُ

(١) لم أجد لهذه الأبيات ذكرًا في الشوقيات، وقد ذكرها محمد سيد كيلاني في كتابه (ترام القاهرة صـ ٩٢، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط/ ٢/ ٢٠١٠م، وذلك نقلًا عن المجلة المصرية في عددها الثاني بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٠٠م.

ذهـــب النقـــدُ والعقـــارُ سريعـــا ... يـــا سراة الـــبلاد أيـــن العقـــولُ؟
لـــو يكـــونُ الغنـــى كـــما زعمـــتم ... كانـــت الكيميـــاءُ لا تســـتحيلُ
يحســـدُ الـــبعضُ بالمكاســـب بعضًـــا ... حســـدًا كلكـــم بـــه مقتـــول
مـــن يكـــن يطلـــبُ الخـــرابَ حثيثًـــا ... فـــالخرابُ الحثيـــثُ تلـــك الســـبيلُ
إن فيهـــا لعـــبرةً إن عقلـــتم ... لـــيس بعـــد الصـــعود إلا النـــزولُ
لـــيس بـــين الغنـــى والفقـــر إلا ... إلا قولـــة الشـــؤم مـــن وســـيط يقـــولُ

لا يخفى على القارئ أن في الأبيات تنفيرًا من آفة اجتماعية ظن بعض الناس أن فيها الغنى وكثرة المال، يحذر الشاعر أبناء مجتمعه من هذه الآفة، ويوضح لهم أن فيها فقرهم وخراب بيوتهم؛ ولذلك يخاطب عقولهم، ويلفت أنظارهم إلى العاقبة الوخيمة التي يؤدي إليها طريق المقامرة.

وقد حذر شاعر النيل أبناء مجتمعه أيضًا من هذا الطريق، فبين خطرها "وأهاب بالشعب أن يبتعد عنها؛ لأنها وبال على المقامرين والمغامرين الذين يلهيهم المكسب كما يتصورون، ولكنهم لا يقبضون إلا الوهم"(١)؛ ذلك أن حافظًا كان شاعرًا اجتماعيًا، يعيش آلام الناس، ويشعر بما يمرون به من فاقة واحتياج، ويشاركهم في أفراحهم وأحزانهم؛ ولذلك "شملت قصائده كل عيوب المجتمع التي كان الاحتلال يغتبط باستشرائها في جسم المجتمع المصري؛ حتى يبقى دائمًا متخاذلًا ضعيفًا، فقد مضى حافظ في شعره يحارب الفقـــر والجهل والعيوب الاجتماعية لعصره، ويدعو إلى البر بالبؤساء وإنشاء الملاجئ لهم... ولم

(١) د/ محمد عويس محمد (الواقع الاجتماعي في شعر حافظ وشوقي، مجلة فصول، عدد٢ مجلد ٣، ١٩٨٣م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

تعرف العربية شاعرًا اجتماعيًا على هذا النحو، يريد أن يصلح أمته، ويثيرها ضد معايبها ونقائصها الاجتماعية والخلقية"[1].

ومن هنا فقد كان شاعر النيل ذا طابع اجتماعي، ترجمانًا لما يشعر به الناس من فاقة وحاجة، يصور ما يرمون به من محن ومعاناة، يقول في قصيدة له بعنوان (غلاء الأسعار)، موجهًا خطابه الساخر التهكمي إلى الإنجليز الذين نهبوا خير البلاد، وأذاقوا الشعب ألوان الجوع والخوف: [2]

أيها المصلحون ضاق بنا العيـ ـشُ ولم تحصنوا عليه المقاما
عزت السِّلْعَة الذَّلِيلة حتَّى باتَ مَسْحُ الحِذاءِ خَطْبًا جُساما
وغَدَا القُوتُ في يَدِ النّاسِ كاليا قُوتِ حتى نَوَى الفَقيرُ الصِّياما
يَقْطَع اليومَ طاوِيًا وَلَدَيْه دُونَ ريحِ القُتارِ ريحُ الخُزامَى
ويخالُ الرَّغيفَ منْ بَعْدِ كَدٍّ صاحَ:مَن لي بأنْ أُصِيبَ الإداما
أيّها المُصْلِحُونَ أصْلَحْتُمُ الأرْ ضَ وبِتُّمْ عن النُّفوسِ نيامَا
أصْلِحوا أنفُسًا أضرَّ بِهَا الفقْـ ـرُ وأحْيا بمَوتِها الآثاما
ليس في طَوقِها الرَّحيلُ ولا الجِـ ـدُّ ولا أن تُواصلَ الإقْداما
تُؤثِرُ الموتَ في رُبَا النِّيلِ جُوعاً وتَرَى العارَ أنْ تَعافَ المُقاما

المتأمل في هذه الأبيات يجد أن الشاعر يخاطب من يدعون أنهم مصلحون خطابًا تهكميًا تعريضيًا، يخاطبهم ويلفت أنظارهم إلى أحوال الناس من ضيق في العيش، وقلة في الرزق،

(١) د/ شوقي ضيف (فصول في الشعر ونقده) صـ ٣٧٥، مكتبة دار المعارف- القاهرة، ط/ ٤ بدون تاريخ.

(٢) حافظ إبراهيم (الديوان) صـ٣١٦.

ورثاثة في الحال، حتى أصبح الواحد من أبناء المجتمع يتمنى أن يصوم لا للتقرب، بل لأنه لا يجد ما يسد به رمقه من شدة الفقر، وقلة العيش، وضيق الرزق، وهكذا كان شعر حافظ ممزوجًا بآلام المجتمع وقضاياه، ومليئًا بأحوال الناس، وناطقًا بلسان المجتمع في الفرح والحزن، وحقًا كان حافظ إبراهيم "مصلحًا اجتماعيًا، يريد أن يصلح النفوس المريضة من حوله، وكان أكبرَ من آذاه أصحاب هذه النفوس، كما صور ذلك في قصيدته، الفقيه الذي يحلل ما حرم الله؛ ابتغاء منفعة عاجلة، والطبيب الذي يأكل أموال المرضى بالباطل، ومهندس الري الذي يرتشي في عمله، والأديب المنافق الذي يقلب الباطل حقًا والحق باطلًا، وكان حافظ لا يزال يصف هذه العلل وأمثالها، ويرشد إلى علاجها والتخلص منها ومن آفاتها بروح الصادق المخلق الأمين" الذي يتألم لآلام المجتمع، ويعيش ما فيه من أحداث وقضايا وآلام وآمال. (١)

وهكذا كان الشعر الإحيائي مصورًا لواقع الناس، مبينًا ما في المجتمع من سلبيات، محذرًا طوائف الشعب مما فيها من تداعيات، ومجسدًا الواقع الاجتماعي بما فيه من قضايا ومشكلات، وكان من أبرز تلك الآفات والسلبيات التي حاربها شعراء الإحياء آفة الخمر، التي هي أم الخبائث، وسبب في قلة الرزق، وضيق العيش، والفقر والبطالة، وقد انبرى هؤلاء الشعراء لتحذير الشعب من مغبة شرب الخمر، وإثمها ومدى حرمتها، وفي هذا يقول أمير الشعراء محذرًا: (٢)

اهجـروا الخمـرَ تطيعـوا اللـ ـــــه أو ترضـــوا الكتابـــا
إنهـــا رجـــسٌ فطـــوبى لامـــرئٍ كـــفَّ وتابـــا

(١) د/ شوقي ضيف (فصول في الشعر ونقده صـ ٣٥٧.

(٢) أحمد شوقي (الشوقيات صـ ٩١.

تـــرعشُ الأيـــدي ومـــن يـــر ـــعشْ مـــن الصُّـــنّاعِ خابـــا
إنـــما العاقـــل مـــن يجـ ـــعلُ للـــدهر حســـاب

في هذه الأبيات تتجلى الروح الإسلامية المتعمقة في نفس شوقي؛ حيث يدعو أبناء مجتمعه إلى ترك هذه الآفة المزرية ونبذها؛ لما فيها من غياب للعقل، ومعصية لله عز وجل، ومخالفة لآيات الكتاب التي حرمتها تحريمًا قطعيًا، فما الخمر إلا رجس من عمل الشيطان، فطوبى لعبد تاب وأناب، واتبع آيات الكتاب.

وفي أصحاب النفوس المريضة، الذين ينشرون بين الناس آفات وصفات مذمومة يقول البارودي: (١)

إلى الله أشـــكو أننـــي بـــين معـــ ـشرٍ ســـواءٌ لـــديهم طيـــبٌ وخبيـــثُ
لهـــم ألســـنٌ إن رمـــنَ أمـــرًا بلغنـــه مـــن الـــنفس مصـــنوعٌ لهـــنَّ حـــديثُ
عـــلى قـــرب الـــوداد عهـــودهم وكيـــف يـــدومُ للـ ـشيءُ وهـــو رثيـــثُ؟
فلـــيس لهـــم في ســـالف الـــدهر مَجْتِـــدٌ قـــديمٌ ولا في المَكْرُمـــات حـــديث
برمـــتُ بهـــم حتـــى ســـئمتُ مكـــانتي وأنكـــرتُ طيـــبَ العـــيش وهـــو دميـــثُ
إذا لم يُغثنـــي الله مـــنهم بفضـــله فـــما ليَ بـــين العـــالَمين مغيـــثُ(٢)

(١) البارودي٠(الديوان صـ٩٧.

(٢) ترث: تبلى وتخلق، سالف الدهر: ماضي الزمان، المحتد: الأصل، برمت بالشيء: سئمت منه وضجرت، دميث: سهل لين.

في هذه الأبيات يوضح الشاعر أن النفوس المريضة لا تطيقها النفس السوية، ولا يقبلها المجتمع القويم؛ لأنها نفوس قد اعتادت على التلون والنفاق، وآثرت الخداع والمراوغة والتملق، وكل هذه صفات نبذها الإسلام وحاربها، وأمر أتباعه باجتنابها، ولما كان شعر البارودي -وغيره من التيار الإحيائي- نابعًا من ثقافة إسلامية صرفة، ومعبرًا عن شعور ديني دفين؛ جاءت هذه التجربة منبثقة من روح الإسلام السمحة، وتعاليمه الراقية، ومن ثم لجأ الشاعر إلى ركن الله الشديد مستعيذًا به من أصحاب النفاق والخداع، وأخذ يعدد صفاتهم الذميمة، وسماتهم الخبيثة؛ ليحذر الناس منهم ومن شرهم ومكرهم وخداعهم.

وهكذا كان شعراء الإحياء معبرين عن مآسي المجتمع وهمومه وقضاياه ومشاكله، فمعلوم أن "مجتمعاتنا مملوءة بالشرور الاجتماعية من عيشة أكثر الناس عيشة تافهة سخيفة، وليس الناس هم المسئولين عن سوء وضعهم وسوء حياتهم بقدر ما هو مسئول عنها أولو أمرهم، والقابضون على زمام التصرف في شئونهم، فلاح بائس، وصانع مسكين، وزوجية تَعيسة، وفقر ومرض، واستعدادات ضائعة، وكفايات لا تجد من يوجهها، وأطفال لا تجد من يربيها، وأغلبية لا تجد ضرورات العيش، ونفوس مستعدة لا تجد من يرقيها، وعقول صالحة لا تجد من يفتِّحها، ومئات ومئات أمثال هذه المآسي تنتظر من الأدب أن يعالجها ويشرحها ويُحللها، ولا يقتصر على إجادة وصف ما هو كائن، بل يرسم ما ينبغي أن يكون"[1]، وقد عالج الشعر الإحيائي هذه الآفات وبيّن للناس خطورتها، وكانت رسالة هذا الشعر هي النهضة بالمجتمع، وتخليصه من شروره وآثامه.

(١) أحمد أمين (فيض الخاطر ٦/ ٧٦، مؤسسة هنداوي- القاهرة، بدون تاريخ.

الفصل الثاني

عناصر المجتمع في الشعر الإحيائي ونظرة الشعراء إليهم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الـــــــــذات.

المبحث الثاني: الرجـــــــل.

المبحث الثالث: المـــــــــرأة.

تمهيد:

كان للمشاعر الإنسانية في مسيرة شعرنا العربي حضور فعال؛ حيث كان الشعراء قديمًا يتغنون بالفضائل الإنسانية في النفس العربية السوية، ويتباهون بالخصال الحميدة والقيم الرفيعة، والشيم الكريمة، التي ترفع من شأن الإنسان، وتعلي من قيمة المجتمع، وقد بين لنا " الشعر الجاهلي في كثير من مواضعه أن العرب كانت لهم أخلاق شاعت بينهم، وتقبلوها، وسلكوا يسيرون عليها، ودعا بعضهم بعضًا إلى الأخذ بها، والاهتداء بنبراسها، ولعلهم كانوا من أوائل الأمم التي اعتدت بمكارم الأخلاق، وافتخرت بفضائل الخلال"(١).

وقد صور الشعر العربي الحديث -وفي مقدمته الشعر الإحيائي- الظواهر الاجتماعية الإيجابية منها والسلبية، فحث الشعراء أبناءَ المجتمع على الصفات الحسنة، ونفروهم من السلبيات والصفات التي تفتك بوحدة الأمة، وتؤدي بالمجتمع إلى القاع، وقد عاش الشعر العربي الحديث في فترة صراع سياسية، متأججة بالثورة، ومشحونة بالنضال، وقد كان للشعب قادة وزعماء سياسيون، يتكلمون باسمهم، ويدافعون عن حريتهم، ويناضلون في سبيل كرامتهم، وقد أخذ الشعراء على عاتقهم الإشادة بهؤلاء الوطنيين، والتعبير عن قضاياهم السياسية، وتمجيد مآثرهم الوطنية؛، وقد كان شوقي –وغيره من شعراء الإحياء- أسبق الناس في هذا الاتجاه؛ حيث "اتجه بشعره إلى تاريخ وطنه مصر، يستعرض مواكبه، ويجسم مفاخره، وكأنه يريد أن يستنقذ مواطنيه من مخالب الاحتلال الغاشم، ويبعثهم بعثًا

(١) د/ عبد الغني أحمد زيتوني (الإنسان في الشعر الجاهلي صـ ١٨٥، إصدارات زايد للتراث والتاريخ، ط/١ / ٢٠٠١م.

جديدًا يتلاءم وأمجاد أسلافهم، الذين كانوا يستطيلون على الشعوب، والذين أورثوا الإنسانية تراثهم الحضاري العظيم"[1].

والمطالع للشعر العربي الحديث عمومًا والشعر الإحيائي خصوصًا يجد أن القيم الإنسانية بارزة، وأن الإشادة بمواقف الرموز الوطنية جلية وواضحة، حيث تغنى الشعراء ببطولات الوطنيين وأمجادهم، وألهبوا حماس الشعب بمواقفهم ونضالهم، وفي الصفحات التالية إطلالة على الشعر الإحيائي ونظرته إلى عناصر المجتمع ورموزه الوطنية، والرؤية الذاتية لدى هؤلاء الشعراء، ويأتي هذا الفصل في ثلاثة مباحث كما يلي:

المبحث الأول: الذات.

المبحث الثاني: الرجل.

المبحث الثالث: المرأة.

(١) د/ شوقي ضيف (فصول في الشعر ونقده صـ٣٤٣.

المبحث الأول: الذات

كان حضور شخص الإنسان أمرًا بارزًا على ساحة شعرنا العربي على مر العصور؛ حيث زخرت النصوص الشعرية بالحديث عن المرأة، والتغني بصفاتها وجمالها، واشتهرت القصائد العربية بمطالعها التي يتحدث فيها الشاعر عن الأطلال وذكر مآثر المحبوبة، كما امتلأ شعرنا العربي أيضًا بحديث الشاعر عن نفسه، والتغني بإقدامه وشجاعته، وهذا على غرار ما نلمسه في فخر عنترة حين يعتز بعزيمته وقوة شكيمته، في قوله: (١)

هـلا سـألْتِ الخيـل يـا بنـةَ مالـكٍ إنْ كُنْـتِ جاهِلَـةً بـما لم تعلمـي
يُخْـبرْكِ مَـنْ شَـهِدَ الوَقيعَـةَ أَنَّنـي أغْشَـى الـوَغَى وأعُـفُّ عِنْـدَ المَغْـنَمِ

وهذا أبو الطيب المتنبي يتحدث عن نفسه مفتخرًا مباهيًا بأدبه وفنه، فيقول: (٢)

أنـا للـذي نَظَـرَ الأعمـى إلى أدبي وأسْـمَعَتْ كلـماتي مَـنْ بـهِ صَـمَمُ
أَنـامُ مـلءَ جُفونـي عَـنْ شوارِدِهـا ويَسْهَـرُ الخلـقُ جَرّاهـا وَيَخْتصِـمُ

وعلى هذا النمط من الاعتداد بالذات، والافتخار بالنفس يقول أبو العلا المعري في إحدى قصائده: (٣)

(١) عنترة بن شداد (الديوان بشرح الخطيب التبريزي صـ ١٧١، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/ ١/ ١٩٩٢م.

(٢) أبو الطيب المتنبي (الديوان بشرح البرقوقي صـ١٢٢٨.

(٣) أبو العلاء المعري (سقط الزند بشروح التبريزي والبطليوسي والخوارزمي، صـ ٥٢٥، تحقيق مصطفى السقا، عبد السلام هارون وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

وإنـــي وإن كـــنتُ الأخـــيرَ زملنُـــه ... لآتٍ بمـــا لـــمْ تســـتطعْهُ الأولئـــلُ
وأغـــدو ولـــو أنَّ الصـــباحَ صـــوارمٌ ... وأسرِي ولـــو أن الظـــلامَ جحافـــلُ
وأيُّ جَـــوادٍ لم يُجَـــلِّ لجامُـــه ... ونِضـــوٍ يَـــمانٍ أغفلتـــه الصَّـــيَاقلُ

أما في شعرنا العربي الحديث فقد كثرت التجارب الشعرية التي يتحدث فيها الشعراء عن الذات أو الآخر؛ فكان هذا الأمر واضحًا وبارزًا على الساحة الشعرية الحديثة، على أنه "ليس من شك في أن رؤية كل شاعر للإنسان تختلف عن غيره من الشعراء؛ إذ يستحيل على أي شاعر أن يكتب عن كل جوانب الإنسان، فهو لا يرى فيه إلا ما يستشعره في نفسه من أحاسيس وعواطف وأفكار ورؤى، بحكم تكوينه النفسي والاجتماعي والثقافي والمذهبي؛ بل الفطري أيضًا". (١)

وقد كان للاتجاه الإنساني حضور كبير في الشعر العربي الحديث؛ حيث أخذ الشعراء "يوجّهون نشاطهم الفكريَّ للمشاكل الإنسانيّة؛ لأن الشاعرَ لا يعيش لنفسه، وإنما يعيش لمواطنيه، وللإنسانيّة كّلها" (٢)، وقد امتدت هذه المشاعر الإنسانية؛ "لتشمل كلَّ بقاع الأرض؛ ولُتحدث نوعًا من التواصل الإنساني المحبب"(٣)؛ ذلك لأن الشاعر "يمتزج

(١) د/ محمد مصطفى هدارة (الإنسان في شعر نازك الملائكة صـ ١٤٨، مستلة من كتاب تذكاري (نازك الملائكة دراسات في الشعر والشاعرة بقلم مجموعة من أستاذة الجامعات، ط/ شركة الربيعان للنشر والتوزيع بالكويت، بدون تاريخ.

(٢) ينظر: د/ شوقي ضيف (دراسات في الشعر العربي المعاصر صـ ١٣٢.

(٣) مفيد قميحة (الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر صـ ٤٢، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط/ ١/ ١٩٨١ م.

بمجتمعه؛ حتى يكون جزءًا لا يتجزأ منه؛ وحتى يعبر عن كل خواطره الجماعية، وكل ما يموج به من أفكار وأحاسيس" (١)، وهذا ما نراه في قول علي الجارم في قصيدة (الأعمى):(٢)

عَبَثًا أُرْسِلُ الأنينَ منَ الجُبِّ ـ ـبِ إلَى ساكني القُصورِ العَوَالي!
مَنْ لسارٍ بلَيلَةٍ طولُها العُمْـ ـرُ، يَجوبُ الأوجالَ للأوْجالِ؟
مُتَرَدٍ في هاوياتِ وَهادٍ لاهثٍ فوقَ شامخاتِ جبالِ

أما شعراء الإحياء فقد كثرت تجاربهم الذاتية، وحديثهم عن نفسهم بصورة واضحة وجلية؛ حيث تغنوا بالشجاعة والإقدام، وأشادوا بالبطولة والنضال، وألهبوا الجماهير بالصرامة وعلو الهمة، وعشق الحرية، والتغني بالجرأة والخبرة في ساحات النزال، وقد كان البارودي أسبقهم في هذه الناحية؛ حيث زخرت تجاربه الشعرية بالحديث عن بطولاته الحربية، وخبرته ودربته القتالية، وقد تجلت هذه النزعة الذاتية لدى البارودي في "اعتزازه بسمو نفسه، وبشعره عن مطامع الشعراء، الذين كانوا يستجْدون بشعرهم، ويتملقون الساسة، وذوي الجاه والسلطان، فهو لم يقيّد بذلك القيد نفسه، فلم يقبع تحت أقدام الملوك باسطًا ذراعيه بالوصيد، وهذا أكسبه القوة والحرية في نقده للحكّام"(٣)، وللبارودي تجارب

(١) د/ شوقي ضيف (البحث الأدبي: طبيعته مناهجه أصوله مصادره صـ ١٣، دار المعارف- القاهرة، ط/ ١٠.

(٢) علي الجارم (الديوان صـ ٦٤، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، بدون تاريخ.

(٣) أنور الجندي (أضواء على الأدب العربي المعاصر صـ ١٤٢، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م.

تنم عن علو قدمه ورجاحة عقله وقوة شكيمته واعتزازه بشخصيته، وفي هذا المعنى يقول حين وصف ليلة أُنس: (١)

وليلـــةٍ بيضـــاءِ الكـــأس لامعـــةٍ ... أدْرَكْـــتُ بـــاللهوِ فيهـــا كـــلَّ مقـــترحِ
أحييتُهـــا بعـــدما نـــام الخَـــلِيُّ بهـــا ... بغـــادةٍ لـــو رأتْهـــا الشـــمسُ لم تلُـــحِ
فلـــو تـــأملْتَني والكـــأسُ دائـــرةٌ ... لِخِلْتَنـــي ملكًـــا يختـــالُ مـــن مـــرحِ
وكيـــف لا تبلـــغُ الأفـــلاكُ منزلتـــي ... والبـــدرُ في مجلـــسي والشـــمسُ في قـــدحي؟

وقد زخرت تجارب البارودي التي اعتد فيها بنفسه، واعتز بذاته، وافتخر ببطولته وعزيمته، وقد تجلى إحساسه بالعظمة حين شبه نفسه بكبار العظماء في تاريخ العرب وعصورهم الزاهية بالحروب والبطولات والانتصارات، ففي قصيدة له يتحدث فيها عن قوته الشخصية، وعزيمته الأبية، وشيمه الكريمة، وخصاله النبيلة، يقول:(٢)

ولي شـــيمةٌ تـــأبى الـــدنايا وعزمـــةٌ ... تَفِـــلُّ شَـــباةَ الخطـــبِ وهْـــو عســـيرُ
مُعَـــوَّدةٌ ألا تَكـــفَّ عنانهـــا ... عـــن الجِـــد إلا أن تـــتمَّ أمـــورُ
لهـــا مـــن وراء الغيـــب أذْنٌ ســـميعةٌ ... وعـــينٌ تـــرى مـــا لا يـــراهُ بصـــيرُ
وإني امـــرؤٌ صـــعبُ الشـــكيمة بـــالغٌ ... بنفسيَـــ شـــأوًا لـــيس فيـــه نكـــيرُ
وَفَيْـــتُ بـــما ظـــنَّ الكـــرامُ فِراســـةً ... بـــأمري ومـــثلي بالوفـــاء جـــديرُ
فـــما أنـــا عـــمّا يُكســـبُ العـــزَّ ناكـــبٌ ... ولا عنـــد وقْـــعِ المُحْفِظـــات حســـيرُ
إذا صـــلتُ كـــف الـــدهر مـــن غلوائه ... وإن قلـــتُ غَصَّـــت بـــالقلوب صـــدورُ
ملكـــتُ مقاليـــدَ الكـــلام وحكمـــةً ... لهـــا كوكـــبٌ فخـــم الضـــياء منـــيرُ

(١) ديوان البارودي صـ ١١٣.

(٢) المرجع السابق صـ ٢٠٧- ٢٠٨.

فلو كنتُ في عصر الكلام الذي انقضى ... لبـاء بفضـلي "جـرْولٌ" و "جريـر"
ولـو كنـتُ أدركـتُ النـواسيَّ لم يقـل ... "أجـارةَ بيتنـا أبـوكِ غيـورُ"
ومـا ضرَّني أني تـأخرتُ عـنهمُ ... وفضـليَ بـين العـالمين شـهيرُ
فيـا ربـما أخـلى مـن السـبقِ أوَّلُ ... وبـزَّ الجيـادَ السـابقاتِ أخـيرُ

تتجلى في هذه الأبيات النزعة الذاتية؛ من حيث الاعتداد بالنفس الأبية، والافتخار بالصفات الحميدة التي يتصف بها الشاعر، فهو يرى أنه قد ملك مقاليد الكلام والشعر والحكمة والبيان، وهذا ديدن الشاعر المحارب الذي تربى في ساحة الفروسية والنضال، يعتز بإقدامه في القتال، وبصفاته وسماته التي جعلته في مقدمة الرجال، وقد كانت الفروسية باعثة في نفوس أصحابها "ضربًا من التسامي، والإحساس بالمروءة الكاملة، فهم دائمًا يعتنون بمجموعة من الخصال الحميدة، والفضائل الحسنة، والأخلاق الراقية"(١)، التي ترسخ في أبناء المجتمع القيم السامية، والصفات الطيبة، والسمات الجيدة.

على أن حياة البارودي كانت مكتظة بالنضال والثورة، ومشحونة بالوقائع والأحداث، فقد كان محاربًا في معارك عديدة، وكان قائدًا في الثورة العرابية، وقد كانت تجربتة في المنفى من أشد المحن في حياة الشاعر، والتي كانت لها أثر بارز في حديثه عن ذاته، وجعلت تجاربه الذاتية مصبوغة بالنبرة الأثيرة، والنغمة الحزينة، ومن هذه التجارب قصيدته الشجية التي قالها بعد أن جاءه خبر وفاة زوجته، فقال في رثائها: (٢)

أيـدَ المنـون، قـدحت أيَّ زنـادِ ... وأطـرتِ أيـةَ شـعلة بفـؤادي
أوْهنْـتِ عزمـي وهـو حملـةُ فيلـقٍ ... وحَطَمْـتِ عـودي وهـو طـرح طـراد

(١) د/ شوقي ضيف (العصر الجاهلي صـ ٣٧١، مكتبة دار المعارف- القاهرة.

(٢) ديوان البارودي صـ ١٥٣.

لم أدر هـــل خطـــبٌ ألمَّ بســـاحتي ... فأنـــاخ أم ســـهمٌ أصـــاب ســـوادي
أقـذى العيـونَ فأسـبلت بمـدامعٍ ... تجـــري عـــلى الخـــدين كالفِرصـــادِ
مـــا كنـــتُ أحســـبُني أُراعُ لحـــادثٍ ... حتـــى مُنيـــتُ بـــه فـــأوهن آدي
أبْلتنـــيَ الحـ ـسراتُ حتـى لم يكـد ... جســـمي يلـــوحُ لأعـــين العُـــوّادِ

في هذه الأبيات يتحدث البارودي عن مدى حزنه وتأثره بفراق زوجته، وكيف أن هذا الألم أصاب نفسه بالحزن الشديد، والأسى والشجن؛ فنزل الدمع من عينيه مدرارًا، وهو الذي ظن أن لن تهينه الحوادث، ولا تنوشه الخطوب، ولا تؤثر في عزيمته الأحداث، حتى أصيب بهذا الحزن الذي أوهن قوته، وأضعف عزيمته. وقد كثرت النماذج في شعر البارودي التي صورت حزنه، وجسدت مأساته في الحياة، وعبر فيها عن همومه وأحزانه النفسية في أسلوب أخاذ، وتعبيرات أثيرة، امتزجت فيها المعاني الشعرية بالتجربة الذاتية.

وقد سار شوقي على درب البارودي في الحديث عن الذات باعتزاز وافتخار، والإشادة بالمآثر النفسية، والتعبير عن الهموم الذاتية، ففي قصيدة (الهلال) يتحدث عن نفسه بمناسبة مرور ثلاثين عامًا على مولده، وفيها ينتقل من الإطار العام الخاص بالزمن إلى الإطار الذاتي الخاص، يقول شوقي: (١)

ســـنونٌ تعـــادُ ودهـــرٌ يُعيـــدْ ... لَعَمْـــرُك مـــا في الليـــالي جديـــدْ
أضـــاء لآدم هـــذا الهـــلال ... فكيـــف تقـــول: الهـــلالُ الوليـــد؟!
نَعُـــدُّ عليـــه الزمـــان القريـــب ... ويُحـ ـصي علينـــا الزمـــانَ البعيـــد
وطيبـــةُ آهلـــةٌ بـــالملوك ... وطيبـــةُ مُقفـــرةٌ بالصـــعيد

(١) الشوقيات...

يـــزول بـــبعضٍ ســـناه الصـــفا ... ويَفْنـــى بـــبعضٍ ســـناه الحديـــد
ومـــن عَجَـــبٍ وهـــو جَـــدُّ الليـــالي ... يُبيـــدُ الليـــاليَ فـــيما يُبيـــد
يقولـــون: يـــا عـــام قـــد عـــدتَ لي ... فيـــا ليـــت شـــعري بـــماذا تعـــود؟
لقـــد كنـــتَ لي الأمـــسِ مـــا لم أرد ... فهـــل أنـــت لي اليـــوم مـــا لا أريـــد؟
ومـــن صـــابرَ الـــدهر صـــبرَى لـــه ... شـــكا في الثلاثـــين شـــكوى (لبيـــد)
ظمئْـــتُ ومـــثلي بـــريٍّ أحـــقُّ ... كـــأني (حســـينٌ) ودهـــري (يزيـــد)
تغابيـــتُ حتـــى صـــحبتُ الجهـــول ... وداريـــتُ حتـــى صـــحبتُ الحســـود

تتجلى الرؤية الذاتية في هذه الأبيات من خلال حديث الشاعر عن نفسه؛ حيث ينظر إلى أعوامه التي مرت، وأيامه التي ستأتي فيرى أنه لا فرق بين ما مضى وما هو آت، فيشعر أن "تلك السنوات الخالية كانت جميعها من نمط واحد، بل إن إحساسه بأن حياته مرت كلها على وتيرة واحدة يدفعه إلى إسقاط هذه الرتابة على الزمن ذاته، فالزمن كله يمضي على وتيرة واحدة، الحياة كلها رتيبة، والزمن لا يفعل إلا أن يكرر نفسه"[1] (سنون تعاد ودهر يعيد).

ثم يستطرد شوقي في قصيدته ليحدثناعن وقع الحياة على نفسه، فيرى أن الليالي ليس فيها شيء جديد، كما أن الهلال ليس فيه من جديد، فلقد أضاء لآدم منذ بدء الخليقة، ومع ذلك يقولون عنه: هلال جديد! وهنا تتجلى مفارقة حجم الهلال منذ بدء الخليقة وبين كونه هلالًا وليدًا جديدًا، ولعل هذه المفارقة تفسر لنا تأزم إحساس الشاعر بما مر من عمره وما هو مقبل، فالهلال الوليد الذي تولدت صورته "على نحو طبيعي من الموقف الذي وجد فيه

(١) محمد مصطفى بدوي (الذاتية والكلاسيكية في شعر شوقي صـ ٦٣، مجلة فصول، عدد ١مجلد ٣، ١٩٨٢م. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشاعر نفسه، أي ميلاد عام جديد في حياته، ولكن كما أنه من الخطأ البين افتراض وجود أي جدة حقيقية في الهلال فكذلك من الخطأ البين أن يظن الشاعر أن هناك شيئًا جديدًا حقًا ينتظره في عامه الجديد"[1]، فإحساس الشاعر برتابة الزمان وقلة عطاء الأيام له جعله يشعر بأنه لا جديد في الأيام، وما الحياة إلا ليال وساعات مكررة يشبه أولها آخرها، الأمر الذي دفعه إلى أن يشبه نفسه بالحسين بن علي المقتول ظلمًا وبغيًا، ويشبه زمانه بيزيد بن معاوية قاتل الحسين، فكأن الشاعر مظلوم قد جار عليه زمانه وهضم حقه. ومن هنا تتجلى رؤية شوقي لذاته، رؤية تشاؤمية حزينة، يمزجها الأسى، ويكسوها الألم.

(١) محمد مصطفى بدوي (الذاتية والكلاسيكية في شعر شوقي صـ ٦٤.

المبحث الثاني: الرجل

من المعلوم أن المجتمع لا ينهض إلا على أكتاف الرجال، الذين تربوا في ساحات النضال، وعشقوا الحرية، وعاشوا حياتهم من أجل نيل الكرامة، وتحقيق الاستقلال، وفي العصر الحديث كان الشعر مصورًا أحداث الزمان، ومخلدًا مآثر الرجال الذي دافعوا عن كرامة مصر، وناضلوا من أجل حريتها، وكان شعراء الإحياء في مقدمة هذا الاتجاه؛ حيث زخر شعرهم بالحديث عن الرموز الوطنية، والشخصيات الإصلاحية من أبناء المجتمع؛ الأمر الذي يبين أن الشعر وسيلة مهمة من وسائل الإصلاح الاجتماعي، وعامل أساس من عوامل النهوض الأخلاقي، وغرس القيم الفاضلة في المجتمع، والإشادة برموزه السياسية والاجتماعية والدينية.

والمطالع للشعر الإحيائي في العصر الحديث يجده زاخرًا بمآثر الشخصيات الوطنية والرموز الإصلاحية في المجتمع المصري إبان الاحتلال الإنجليزي لمصر، لا سيما الرجال الذين بزغ نجمهم في المجتمع، فكان لهم فضل في الإصلاح الاجتماعي والسياسي، وذلك بالمدح والإطراء، أو التأبين والرثاء.

ففي الرثاء نظم حافظ إبراهيم أكثر من ثلاثين قصيدة، تتسم بالصدق الفني، والشعور الحي، والإحساس القوي؛ لأن الرثاء ألصق الأغراض الشعرية بالنفس، ويبعد غالبًا عن مواطن المجاملات وأداء الواجب، فينبثق من إحساس صادق، وشعور دافق، مصورًا ما كان عليه المرثي من أخلاق سامقة، وشيم راقية، وشعر حافظ مليء بهذا الفن؛ حيث "رثى عظماء مصر من الساسة والمصلحين، فخلد ذكراهم، وأجرى على الدهر سيرتهم، واتخذ من مراثيهم

منبرًا يهتف من فوقه بشباب الأمة: أن سيروا إلى المثل الأعلى، فساروا في ضوء أولئك العظماء الراحلين، وسلكوا طريقهم، فوصلوا بمصر إلى ما وصلت إليه"[1].

كما تجلى في قصائد حافظ وشوقي وغيرهما من شعراء الإحياء مدح كثير من الزعماء والإصلاحيين والقادة، والأدب العربي مدين لشاعر النيل بتلك المراثي الرائعة التي رثا فيها رموز الإصلاح الاجتماعي والسياسي والأدبي، فلا أحد ينكر قصائده الماتعة الأثيرة في رثاء الإمام محمد عبده، والبارودي، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وغيرهم ممن تركوا بصمات لا تُمحى، ومآثر لا تُنسى في المجتمع المصري بكل أطيافه وأنماطه.

ومن أبرز الرموز الوطنية والإصلاحية التي رثاها حافظ إبراهيم قصائده في الإمام محمد عبده، الذي هو رمز لأهل العلم والفكر والإصلاح والأدب، وطبعي أن يكون الشاعر متأثرًا بالمفكرين في مجتمعه، فما شعره إلا تصوير لواقعه وعالمه الخارجي والذاتي، وقد رثى حافظ الإمام محمد عبده بقصائد خالدة، تفيض بالحزن والألم، وتتقاطر كلماتها بالفجيعة والحسرة، وتصور إحساس الشاعر بشدة الأسى، وفجاعة الخطب، ولوعة الفقد، ومن هذه التجارب التي رثا بها الإمام قوله: [2]

سلامٌ على الإسلام بعد محمدٍ ... سلامٌ على أيامه النضراتِ
عَلى الدينِ وَالدُنيا عَلى العِلمِ وَالحِجا ... على البرِّ والتقوى على الحسناتِ
لقد كنت أخشى عاديَ الموتِ قبله ... فأصبحتُ أخشى أن تطولَ حياتي
فواهفي – والقبرُ بيني وبينه– ... على نظرةٍ من تلكمُ النظَراتِ

(١) محمود البشبيشي (المدائح والتهاني والرثاء في شعر المغفور له حافظ بك إبراهيم صـ ٢٠١، صحيفة دار العلوم، الإصدار الثاني، عدد ١، سنة ١٩٣٧م.

(٢) ديوان حافظ صـ ٤٥٨.

وقفتُ عليه حاسر الرأس خاشعًا ... كأني حيالَ الموت في عرفات
لَقَد جَهِلوا قَدرَ الإِمامِ فَأَودَعوا ... تَجاليدَهُ في موحِشٍ بِفَلاةِ
وَلَو ضَرَحوا بِالمَسجِدَينِ لَأَنزَلوا ... بِخَيرِ بِقاعِ الأَرضِ خَيرَ رُفاتِ
تَبارَكتَ هَذا الدينُ دينُ مُحَمَّدٍ ... أَيُترَكُ في الدُنيا بِغَيرِ حُماةِ

وكما رثى حافظ إبراهيم أهل العلم والفكر والأدب، رثى أيضًا الرموز الوطنية من أهل السياسة، والذين كان لهم دور بارز في مجتمعهم، من حيث الدعوة إلى الاستقلال والمطالبة بالحرية، فبكى عليهم واستبكى، وخلد ذكراهم الطيبة، وأجرى على الأيام سيرتهم الحسنة، ومن هذه الشخصيات الزعيم مصطفى كامل، الذي رثاه الشاعر رثاء حارًا في تجارب صادقة، ومن هذه القصائد قول حافظ: (١)

أيا قبرُ هذا الضيفُ آمالُ أمةٍ ... فكبّرْ وهلل والْقَ ضيفك جاثيًا
عزيز علينا أن نرى فيك (مصطفى) ... شهيدَ العلا في زهرة العمر ذاويا
أيا قبرُ لو أنا فقدناه وحده ... لكان التأسي من جوى الحزن شافيا
ولكن فقدنا كل شيءٍ بفقده ... وهيهات أن يأتي به الدهرُ ثانيا

في هذه الأبيات تفيض نفس الشاعر باللوعة والأسى؛ لفقد المرثي وموته، ويعتمد حافظ على وسيلة أسلوبية مهمة، وهي تشخيص القبر كأنه إنسان ذو عقل يحاوره ويخاطبه؛ لكي يستقبل هذا الوافد عليه استقبالا حافيا يليق بقدره ومكانته، ثم يذكر الشاعر جانبًا من مآثر

(١) المرجع السابق صـ ٤٦٣.

هذا الفقيد، كالوفاء والجهاد والنضال والحكمة والمروءة والحجى، وكيف أن الأعداء سينعمون بسكوت الصوت الذي كان عاليًا مدافعًا مناضلًا، يقول حافظ: (١)

فيا سائلي أين المروءةُ والوفا ... وأين الحجى والرأي؟ ويحك ها هيا
هنيئًا لهم فليأمنوا كل صائحٍ ... فقد أُسكِتَ الصوتُ الذي كان عاليا
وما ات الذي أحيا الشعورَ وساقه ... إلى المجد فاستحيا النفوسَ البواليا
مدحتُك لما كنتَ حيًا فلم أُجِدْ ... وإني أجيدُ اليوم فيك المراثيا
عليك، وإلا ما لذا الحزنِ شاملًا ... وفيك، وإلا ما لذا الشعبِ باكيا
يموتُ المداوي للنفوس ولا يرى ... لما فيه من داء النفوس مداويا

كما زخر شعر شوقي بكثير من التجارب الشعرية التي تنم عن إحساس صادق، وشعور قوي، لا سيما في القصائد التي قالها في رثاء زعماء مصر وأبطالها، الذين قضوا نحبهم في سبيل الحرية ونيل الاستقلال، وكان من أبرز قصائد شوقي في هذا الميدان رثاؤه للزعيم مصطفى كامل أيضًا، والتي "ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم بأبيات أثيرة، تجلت فيها حكمة الشعر، وقوة الوطنية، وروعة البيان، وقد نشرت هذه القصيدة في الثالث والعشرين من فبراير من سنة ١٩٠٨م، عقب وفاة الزعيم بثلاثة عشر يومًا، فأثرت في النفوس تأثيرًا عميقًا، وجددت أحزان الأمة"(٢)؛ لما فيها من تصوير صادق لحالة الفقد، ولوعة الحزن ووخزة الألم، وفيها يقول أمير الشعراء: (٣)

(١) ديوان حافظ صـ ٤٦٥.

(٢) يُنظر: عبد الرحمن الرافعي (شعراء الوطنية في مصر... صـ ٥٠.

(٣) الشوقيات،٣/ ١٥٧.

المـــ ـشرقان عليـــــه ينتحبـــــانِ قاصـــــيهما في مـــــأتمٍ والـــــداني
يـــا خـــادم الإســـلام أجـــر مجاهـــدٍ في الله مـــن خلـــدٍ ومـــن رضـــوانِ
لمـا نُعيـت إلى الحجـاز مشـى الأسـى في الزائـــــرين ورُوِّعَ الحَرَمَـــــانِ
الســـ ـكّةُ الكُـــبْرى حيـــال رباهمـــا منكوســـةُ الأعـــلامِ والقُضـــبانِ
لم تألُهـــا عنـــد الشـــدائد خدمـــةً في الله والمختـــــار والســـــلطان
يـــا ليـــت مكـــة والمدينـــة فازتـــا في المحفلـــين بصـــوتك الرَّنَّـــانِ
لـــيرى الأواخـــرُ يـــوم ذاك ويســـمعوا مـــا غـــابَ مـــن قُـــسٍّ ومـــن سَـــحْبانِ
جـــار الـــترابِ وأنـــت أكـــرم راحـــلٍ مـــاذا لقيـــتَ مـــن الوجـــود الفـــاني؟

والقصيدة كلها على هذا النمط الحزين، الذي يصور فيه الشاعر لواعجه الذاتية، وأشجانه النفسية؛ حزنًا على الفقيد، وبكاء على رحيله، وتتجلى في الأبيات صفات الزعيم مصطفى كامل من حجة منطقه، وبلاغة قوله، وروعة أسلوبه، تلك الصفات التي وظفها في الدفاع عن حقوق الأمة واستقلالها؛ ولذلك يستدعى الشاعر في هذه الأبيات شخصيتين من عبق التاريخ، كان لهما باع في الخطابة والبيان، وهما قس ابن ساعدة الإيادي، وسحبان بن وائل، حيث يرى شوقي أن ما غاب من هذين الخطيبين من فصاحة منطق، ورقة أسلوب، وروعة بيان، إنما هو موجود في الزعيم مصطفى كامل، وفي هذا دلالة على مدى قوة الفقيد في الخطابة والتأثير في نفوس السامعين.

وكما كثرت القصائد التي رثى فيها شعراء الإحياء كثيرًا من الشخصيات والرموز الوطنية، فكذلك تعددت التجارب الشعرية في المدائح والتهاني والمناسبات، والمطالع للطبيعة الشعرية في المدرسة الكلاسيكية يجد شعر المدح والتهاني والتعازي للشخصيات الوطنية والاجتماعية والفكرية، والتي كان لها دور مهم في النهضة الاجتماعية والسياسية آنذاك.

المبحث الثالث: المرأة

ظلت المرأة عبر العصور الأدبية عامًلا مهمًا من عوامل الإبداع الشعري لدى الشعراء، وكانت القصائد الشعرية في العصر الجاهلي مفتتحة بالحديث عن المرأة، وذكر الديار، وفراق الأحباب، والبكاء على الأطلال، وقد ظلت هذه السمة ملمحًا واضحًا في الشعر العربي القديم، ثم توالت العصور الأدبية بعد ذلك، إلى أن جاء العصر الحديث، وحدثت نهضة أدبية وفكرية في تاريخ الأدب العربي، كانت بمثابة إحياء لتاريخ الشعر العربي في الأوزان والقوافي والأغراض والموضوعات، وظلت المرأة في مكانتها السامقة في نظرة الشعراء إليها، بالغزل والتشبيب تارة، والرثاء والنحيب تارة أخرى.

والمطالع لطبيعة الشعر الإحيائي في هذه الفترة من تاريخ الأدب يجد أن الشعراء قد صوروا العصر وما فيه من أفكار ورؤى، ووقفوا حائط صد ضد الأفكار الغربية الهدامة، التي دعت إلى تحرير المرأة وانسلاخها من عاداتها وتقاليدها الدينية والاجتماعية، لا سيما في قضية الحجاب والسفور، كما أن في الشعر الإحيائي أيضًا صنفًا من النساء قد احتفى بهن الشعراء كثيرًا في تجاربهم، وأضفوا عليهن صفات التقدير والإجلال، وهن النساء اللائي كان لهن دور بارز في المجتمع، سواء أكان من الناحية الاجتماعية، أم من الناحية العلمية والأدبية، أم من الناحية الإبداعية، ومن ثم تجلى في شعر المحافظين الحديث عن قضايا المرأة الأساسية في هذا الوقت، كقضية السفور والحجاب، وقضية عمل المرأة وتعليمها وتثقيفها، وقضية العلاقات الزوجية، وغيرها من القضايا التي تهم المرأة فكريًا واجتماعيًا وأخلاقيًا.

وسوف أعرض في هذا المبحث لرؤية الشعراء الإحيائيين للمرأة باعتبارها عضوًا مهمًا في المجتمع، وذلك من حيث الغزل والنسيب، والرثاء والنحيب. فإذا نظرنا إلى رؤية البارودي –رائد الشعر الحديث– وجدناه ينظر إلى المرأة نظرة الشعراء العرب القدامى، أي أنها "مجرد إطار يؤطر به شعره، أو نفحة من الأرج يذرها على ناصية قصيدته، فيشع في أعطافها عاطر

أنفاسه، ورغم حديث البارودي عن المرأة نسيبًا وتشبيبًا، وعن مطارح الغرام وما كان له فيها من وقفات إلا أن القارئ لا يكاد يميز للشاعر توجهًا عاطفيًا خاصًا في المواقف الكثيرة التي وقفها، وأخبار الغرام التي بثها"[1]، ومع ذلك يجد القارئ أن عاطفة البارودي في الحب والغزل عاطفة جياشة، وتعبيراته صادقة، يقول واصفًا حديث محبوبته، وشدة وقعه على نفسه وقلبه: [2]

سَكِرَتْ بخمرِ حديثِكِ الألفاظُ ... وتكلَّمتْ بضميركِ الألحاظُ

يا دُميةً لولا التَّقِيَّةُ لاستوتْ ... في حبِّها الفُتَّاكُ والوُعَّاظُ

ما لي منحتُكِ خُلَّتي وجَزَيْتِني ... نارًا لها بين الضلوع شواظُ

هلا مَنَنْتِ إذا امتلكتِ فطالما ... مَنَّ الكريمُ وقلبه مغتاظُ

فلقد هجرتُ إليك جُلَّ عشيرتي ... فقلوبهم أبدًا عليَّ غلاظُ

ونَفَيتِ عن عيني المنامَ فما لها ... غيرَ المَدامع والسُّهاد لَماظُ

هذا وما اختضبت لغيرِكِ أسهمٌ ... بدمي ولا احتكمت عليَّ لِحاظُ

فعلام تستمعين ما يأتي به ... عني إليك الحاسدُ الجَوَّاظُ[3]

(١) د/ السعيد محمود عبد الله (المرأة في وجدان الشاعر العربي صـ٥٨، دار المعارف- القاهرة، ١٩٩٥م.

(٢) ديوان البارودي صـ ٣١٢.

(٣) الدمية: الصورة المنقشة من العاج وغيره، ويكنى بها عن المرأة الحسناء، الفتاك: أي القاتل الجريء، خلَّتي: صداقتي المختصة، الشواظ: لهب لا دخان فيه، السهاد: السهر والأرق، لماظ: أي شيء يذوقه، والمراد أنه لا يجد شيئًا إلا الأرق والتعب والسهر الذي يتذوقه بديلًا عن النوم، الخضاب: ما يختضب به كالحناء وغيره، والمراد أنه يشبه نظراتها بالسهاد التي تصيب قلوب الناظرين والعشاق، الجواظ: الكثير الكلام في الشر، والمراد أن الواشي والحاسد لا يتكلمان إلا بالسوء، ولا يبثان إلا السموم التي تفسد بين الحبيبين.

وفي التجارب الحزينة كان البارودي أكثر تصويرًا، وأشد تأثيرًا؛ حيث صور لواعج نفسه، وعبر عن خوالج وجدانه، في قصائد تفيض بالحزن والألم، وتزخر بالأنين والحنين إلى المرثية، وخير مثال على هذا رثاؤه لأمه وزوجته، فقد رثاهما بكلمات وتعبيرات أثيرة، يقول في رثائه لأمه وقد جاءه نعيها في الحرب: (١)

لَعَمْري لقد غال الردى مَنْ أحِبُّهُ ... وكان بودي أن أموتَ ويسلما
وأيُّ حياةٍ يعد أمٍ فقدتها ... كما يفْقِدُ المرءُ الزُّلالَ على الظما
تولَّت فولى الصبرُ عني وعادني ... غرامٌ عليها شفَّ جسمي وأسقما
ولم يبق إلا ذُكْرةٌ تبعث الأسى ... وطيفٌ يوافيني إذا الطرفُ هوَّما
وكانت لعيني قرةً ولمهجتي ... سرورًا فخاب الطرف والقلبُ منهما
فلولا اعتقادي بالقضاء وحكمه ... لقطعت نفسي لهفةً وتندما
فيا خبرًا شف الفؤادَ فاوشكتْ ... سويداؤه أن تستحيل فتَسْجُما

كما كانت تجربته أليمة وكلماته أثيرة عندما علم في منفاه بوفاة زوجته ورفيقة دربه وحياته، فصور حزنه وشدة ألمه على فراقها في قصيدة من عيون شعر الرثاء في العصر الحديث، يقول عمر الدسوقي عن هذه القصيدة: "ومن رثائه الذي يَنُمُّ عن عاطفةٍ صادقةٍ، ويظهر فيه الأسى واللوعة، وعظيم التفجع من غير مواربة أو تحفظ، رثاؤه لزوجته، وقد ورد إليه نعيها وهو بسرنديب، وعلى الرغم من أن رثاء الشعراء لزوجاتهم قليل في الأدب العربي، فإن قصيدة البارودي هذه تعد من عيون قصائد الرثاء، وهي تدل على الوفاء والمحبة، وعلى فرط حساسيته"(٢)

(١) ديوان البارودي صـ ٥٥٧.

(٢) عمر الدسوقي (في الأدب الحديث ١/ ٢٢٧، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م.

يقول البارودي في هذه القصيدة: (١)

أيــدَ المنُــونِ قــدَحتِ أى زِنــادِ ... وأطــرتِ أى شــعلة بفــؤادى

أوهَنــتِ عزمــى وهــو حَملــة فيلــقٍ ... وحَطَمــتِ عــودى وهــو رُمــحُ طِــرادِ

لم أدرِ هَــلْ خَطــبٌ ألمَّ بِســاحتى ... فَأَنَــاخَ، أَمْ سَــهْمٌ أَصــابَ سَــوَادِي؟

أَقْــذَى الْعُيُــونَ فَأَسْــبَلَتْ بِمَــدَامِعٍ ... تجــرى عــلى الخــدَّينِ كالفِرصــادِ

مــا كُنْــتُ أَحْسَــبُنِي أُراعُ لِحَــادِثٍ ... حتَّــى مُنِيــتُ بــهِ فــأَوهَنَ آدى

أبلتنــيَ الحــسراتُ حتَّــى لم يكــد ... جِسْــمِي يَلُــوحُ لأَعْــيُنِ الْعُــوَّادِ

أَسْــتَنْجِدُ الزَّفَــراتِ وَهْــيَ لَــوافِحٌ ... وَأُسَــفِّهُ الْعَــبَرَاتِ وَهْــيَ بَــوَادِي

لا لــوعتى تــدعُ الفــؤادَ، ولا يــدى ... تقــوَى عــلى ردِّ الحبيــبِ الغــادى

يــا دَهْــرُ، فِــيمَ فَجَعْتَنِــي بِحَلِيْلَــةٍ؟ ... كانَــتْ خَلاصَــة عُــدَّتِي وَعَتَــادِي

إنْ كُنْــتَ لَمْ تَــرْحَمْ ضَــنَايَ لِبُعْــدِها ... أفــلا رحِمــتَ مــنَ الأسَــى أولادى ؟

أَفْــرَدْتَهُنَّ فَلَــمْ يَــنَمْنَ تَوَجُّعًــا ... قرحَــى العيــونِ رواجِــفَ الأكبــاد

أَلْقَــيْنَ دُرَّ عُقُــودِهِنَّ، وَصُــغْنَ مِــنْ ... دُرِّ الــدُّموعِ قلائــدَ الأجيــادِ

يبكــينَ مــن ولــهٍ فــراقَ حَفيَّــة ... كانــتْ لَهُــنَّ كثــيرة الإســعادِ

فَخُــدُودُهُنَّ مِــنَ الــدُّمُوعِ نَدِيَّــة ... وقُلــوبُهُنَّ مــنَ الهمــومِ صــوادى

أســليلة القمــرينِ! أى فجيعــةٍ ... حَلَّــتْ لِفَقْــدِكَ بَــيْنَ هَــذَا النَّــادِي؟

أعــزز عــلى بــأن أراكِ رهينــة ... في جَــوْفِ أَغْــبَرَ قــاتِمِ الأَسْــدَادِ!

أَوْ أَنْ تَبِينِــي عَــنْ قَــرَارَةِ مَنْــزِلٍ ... كُنْــتِ الضِــيَاءَ لَــهُ بِكُــلِّ سَــوَادِ

(١) ديوان البارودي صـ ١٥٣، وما بعدها.

يصور الشاعر في هذه الأبيات فداحة الخطب، ولوعة الحزن، وأنين الوجدان، فيخاطب الموت الذي اقترب منه، فاختطف زوجته، أم أولاده، ورفيقة أيامه، وهنا تتجلى الصورة الحزينة، والأسلوب الشجي الأخاذ، الذي يصور لواعج النفس، ويجلي فداحة الخطب، ويبرز غصة الوجدان، فالشاعر جاء خبر زوجته وهو في المنفى، فأضاف همًا على همه، وكربًا على كربه، وأي كرب أشد من فراق زوجته، الذي أورثه ألمًا وحزنًا لا يفارقه ساعة من ليل أو نهار، وكأن المصائب أقامت بداره، وأصابت قلبه، ففاضت عيناه بالدمع الغزير، ونحل جسده وضعف، فلا يجد إلا حزنًا يعتصر قلبه؛ لأنه لا يستطيع إعادة الحبيب المفقود.

وهكذا كانت المرأة في شعر البارودي حاضرة في تجارب كثيرة، مدحًا ورثاء، صور الشاعر فيها أحاسيسه الوجدانية، وبين قيمة المرأة ومكانتها في قومها، وأن لها دور السيادة والقيادة في المجتمع.

وعلى هذا النمط سار شوقي وحافظ في شعرهما عن المرأة، غزلًا ومدحًا ورثاء، وقد كان شوقي في غزلياته أكثر اهتمامًا بالمرأة من البارودي؛ حيث يجد القارئ في شعره "المعنى المطروق، والصورة الخيالية المتداولة بلمسات شاعر صناع، تجلوها في زي جديد... وليس وراء ذلك سوى قدرة خياله على أن يلف كل شيء، وقدرة عبارته على ملاحقة هذا الخيال دون عجز يدركها فيقصر بها"[1]، وقد كان لدى شوقي "روح متشوقة، وحنين رومانسي إلى المرأة... وقد وجد شوقي في الشعر التمثيلي الحرية للتعبير عن مشاعره الخاصة، والتي كانت ملأى بالحنين الرومانسي، وهو حنين ميز الأمة، التي تشرّب ثقافتها وروحها، وعبر عنهما، فكانت أفضل قصائده في الحب هي التي وردت في مسرحياته، مثل (مجنون ليلى)، و(مصرع

(١) ينظر: د/ السعيد محمود عبد الله (المرأة في وجدان الشاعر العربي صـ ٦٣.

كليوباترا)، حيث استطاع على لسان أبطاله أن يسكب شعرًا مليئًا بالعواطف المشبوبة"[1]، والحنين إلى المرأة غزلًا ونسيبًا، ومدحًا ورثاء ونحيبًا.

أما التجارب الشعرية عن المرأة في شعر حافظ فقد كانت أكثر عمقًا في مشاكل الناس وهمومهم، حيث تعرض في كثير من قصائده لقضايا المرأة الأساسية كالسفور والحجاب، وتعليم المرأة وعملها؛ فكان له موقف صريح في الدعوة إلى العفة والطهارة، ومواكبة التطور والحداثة في غير مساس بالثوابت والعادات والتقاليد، وقد كان حافظ وشوقي من أكثر الشعراء الذين أيدوا تعليم المرأة وتثقيفها بالعلوم والمعارف[2]، ففي قصيدة لحافظ عن جمعية الاهتمام بالطفل ورعايته، يتحدث عن المرأة مفتخرًا بها وبما تقدمه في خدمة المجتمع وأبنائه وأطفاله، يقول حافظ في قصيدة (جمعية الطفل): [3]

أيها الطفلُ لا تخف عنَتَ الدهـ ـ ـر ولا تخش عاديات الليالي
قَيَّضَ الله للضعيف نفوسًا تعشقُ البرَّ من ذوات الحجالِ
أيْ ذواتِ الحجال عشتُنَّ للبر ودمتُنَّ قدوةً للرجال
لم يكونوا ليدركوا المجد لولا كنَّ أو يسلكوا سبيل المعالي
بسمةٌ تجعلُ الجبانَ شجاعًا وتعيد البخيل أكرم نالِ
وعظامُ الرجـ ـال من كل جنسٍ في رضاكُنَّ أرخصوا كلَّ غالي
راعني من نفوسكن جمالٌ يتجلى في هالةٍ من جلالِ

(١) ينظر: د/ سلمى الخضراء الجيوسي (الاتجهات والحركات في الشعر العربي الحديث صـ ٨٠-٨١، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، ط/ ١/ ٢٠١١م.

(٢) سبق أن أشرنا في الفصل الأول إلى دور الشعراء في قضية التعليم في المجتمع.

(٣) ديوان حافظ صـ ٣١٠.

وجمـــالُ النفـــوس والشِّـــعر والأخـــ ـ ـــــلاق عنـــدي أســـمى مجـــالي الجـــمال
قمـــــن علمننـــــا المـــــروءة والعطـــ ـ ـــــفَ عـــــلى البائســـــين والســـــؤالِ
قمـــــن علمننـــــا الحنـــــان عـــــلى الطفـــ ـ ـــــل شـــــقاءٌ لنـــــا عـــــلى كـــــل حـــــالِ
قـــــد أجبنـــــا نـــــداءكن وجئنـــــا نســـــأل القـــــادرين بعـــــضَ النـــــوال
لـــــو ملكنـــــا غـــــير المقـــــال لجـــــدنا إن جهـــــدَ المقِـــــلِّ حســـــنُ المقـــــالِ
أنقـــذوا الطفـــل إن في شـــقوة الطفـــ ـ ـــــل شـــــقاءً لنـــــا عـــــلى كـــــل حـــــال

ففي هذه الأبيات يتجلى الحس الاجتماعي عند حافظ، ذلك الحس الذي ينبع من إيمان راسخ بمهمة الشاعر في مجتمعه، يصور ما فيه من سلبيات وإيجابيات، ويمدح المرأة التي تعمل على النهوض بالمجتمع، وتقوم بدورها في ذلك خير قيام، من حيث الاهتمام بالطفل وتربيته وحسن توقيمه وتعليمه. وهذا ديدن الشاعر المرهف الإحساس، العميق الشعور، الذي يعلم أن رسالة الشعر هي إصلاح المجتمع، وأن الأدب رسالة بناء لا هدم، وهذه رؤية تنبعث من تصور إسلامي للأدب ورسالته، وتصبح جزءًا من ذاتية الأديب، فيعبر عن خوالجه في تجارب نابعة من صميم وجدانه، ومعبرة عن روح الجماعة، ومنبعثة من ذاته وكيانه.

الخاتمـــة

بعد هذه الرحلة الرائقة الشائقة مع الشعر الإحيائي ودوره في إرساء القيم الفاضلة بين أبناء المجتمع، يمكنني أن أسجل هنا ما توصلت إليه من نتائج من خلال البحث والدراسة، والتي كان من أهمها ما يلي:

أولًا: الأدب العربي مرآة تعكس ما في المجتمع من سمات وصفات؛ حيث يصور الأديب ما يموج في واقعه من أحداث وقضايا، ويعمل جاهدًا على إصلاحه وارتقائه، ولذلك كان الشاعر الناجح هو صاحب الشعور النابض، والضمير الحي، الذي يعيش في مجتمعه ولمجتمعه، فلا يعرف لليأس سبيلًا، مهما بلغ مجتمعه في التردي والانحطاط، بل يسعى دائمًا إلى بث روح التفاؤل في نفوس الناس، ويكافح من أجل تنقية مجتمعه من الرذائل والآفات، وذلك في صورة شعرية رائقة، وتجربة شعورية صادقة.

ثانيًا: عاش الشعراء المحافظون في فترة زمنية مشحونة بالنضال السياسي، ومتأججة بالصراع الفكري والديني، وظهر في المجتمع اتجاه دعا إلى التغريب، واتخذ من الغرب -بكل ما فيه من آفات وحسنات -رمزًا للرقي والتحضر والمدنية، ورأى أن الشر كل الشر في كل تراث قديم، والخير كل الخير في كل وافد جديد؛ الأمر الذي أدى إلى بروز الجانب الاجتماعي في الشعر الإحيائي، فكان شعراؤه خير مثال للدعوة إلى الإصلاح الأخلاقي، والرقي الحضاري والاجتماعي.

ثالثًا: أن الشعر وسيلة مهمة في الدعوة إلى الأخلاق، والارتقاء بالشعوب والمجتمعات، وذلك إذا انبثق من روح إسلامية، وعبر عن هموم الناس وأحوالهم، ولم يكتف فيه الشاعر بالتعبير عن الذات، وتصوير كوامن النفس، بل صور ما يدور في مجتمع الناس، في شعور دافق، وإحساس صادق.

رابعًا: وقف الشعراء المحافظون من القضايا الاجتماعية موقفًا إيجابيًا؛ من حيث تأييد ما رأوه حسنًا يرتقي بالمجتمع، ويعبر عن أخلاقه وفضائله، وإدانة ما رأوه سيئًا، وذلك في أسلوب شعري متميز، مكثف بالرموز والإيحاءات، ومشبع بتوظيف التراث بكل معطياته اللغوية والفنية والأسلوبية.

وبعد فهذا جهد مقل، وبنان عاجز، فما كان فيه من توفيق فالفضل لله أولًا وآخرا، وله الحمد والمنة، وما كان فيه من خطأ أو نقص أو سهو فمني، وحسبي أني اجتهدت وبذلت، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلمَ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١- أبو الطيب المتنبي (الديوان) بشرح البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، بدون تاريخ.

٢- أبو العلاء المعري (سقط الزند) بشروح التبريزي والبطليوسي والخوارزمي، تحقيق مصطفى السقا، عبد السلام هارون وآخرون، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

٣- أحمد أمين (فيض الخاطر)، مؤسسة هنداوي- القاهرة، بدون تاريخ.

٤- أحمد شوقي (الشوقيات)، دار العودة- بيروت ١٩٨٨م.

٥- أنور الجندي (أضواء على الأدب العربي المعاصر)، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨م. د/ شوقي ضيف (العصر الجاهلي)، مكتبة دار المعارف- القاهرة.

٦- حافظ إبراهيم (الديوان)، تحقيق أحمد أمين- أحمد الزين- إبراهيم الإبياري، وكالة الصحافة العربية (ناشرون) بدون تاريخ.

٧- حافظ إبراهيم (الديوان)، تحقيق أحمد أمين- أحمد الزين- إبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

٨- د/ أحمد هيكل (تطور الأدب الحديث في مصر من أول القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية)، دار المعارف، ط/ ٦ / ١٩٩٤م.

٩- د/ السعيد محمود عبد الله (المرأة في وجدان الشاعر العربي)، دار المعارف- القاهرة، ١٩٩٥م.

١٠- د/ حسن أحمد الكبير (تطور القصيدة الغنائية في العصر الحديث)، دار الفكر العربي بدون تاريخ.

١١- د/ سلمى الخضراء الجيوسي (الاتجهات والحركات في الشعر العربي الحديث)، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، ط/ ١/ ٢٠١١م.

١٢- د/ شوقي ضيف (الأدب العربي المعاصر في مصر) دار المعارف- القاهرة، ط/ ١٤ بدون تاريخ.

١٣- د/ شوقي ضيف (البحث الأدبي: طبيعته مناهجه أصوله مصادره)، دار المعارف- القاهرة، ط/ ١٠.

١٤- د/ شوقي ضيف (شوقي شاعر العصر الحديث)، مكتبة دار المعارف- القاهرة، ط/ ١٣، بدون تاريخ.

١٥- د/ شوقي ضيف (فصول في الشعر ونقده)، مكتبة دار المعارف- القاهرة، ط/ ٤ بدون تاريخ.

١٦- د/ شوقي ضيف (في النقد الأدبي)، دار المعارف، ط/ ٥ بدون تاريخ.

١٧- د/ عبد الغني أحمد زيتوني (الإنسان في الشعر الجاهلي) ، إصدارات زايد للتراث والتاريخ، ط/ ١ / ٢٠٠١م.

١٨- د/ محمد رجب البيومي (العاطفة الدينية في شعر أحمد محرم) مجلة الرسالة، عدد ٨٢٠، بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٤٩م.

١٩- د/ محمد عويس محمد (الواقع الاجتماعي في شعر حافظ وشوقي)، مجلة فصول، عدد٢ مجلد ٣، ١٩٨٣م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٠- د/ محمد محمد عليوة (فصول في نظرية الأدب)، دار الهاني للطباعة والنشر والتوزيع.

٢١- د/ محمد مصطفى هدارة (الإنسان في شعر نازك الملائكة)، مستلة من كتاب تذكاري (نازك الملائكة دراسات في الشعر والشاعرة) بقلم مجموعة من أستاذة الجامعات، ط/ شركة الربيعان للنشر والتوزيع بالكويت، بدون تاريخ.

٢٢- د/ نبيل راغب (التفسير العلمي: للأدب نحو نظرية عربية جديدة)، المركز الثقافي الجامعي، بدون تاريخ.

٢٣- د/ نبيل سليمان طبوشة (الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ من ١٨٨٢ إلى ١٩١٩م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

٢٤- الطبراني (المعجم الأوسط).

٢٥- عبد الرحمن الرافعي (شعراء الوطنية في مصر تراجمهم وشعرهم الوطني والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم)، مكتبة الأسرة ٢٠٠٨م.

٢٦- علي الجارم (الديوان)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، بدون تاريخ.

٢٧- عمر الدسوقي (في الأدب الحديث)، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م.

٢٨- عنترة بن شداد (الديوان) بشرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/ ١/ ١٩٩٢م.

٢٩- محمد مصطفى بدوي (الذاتية والكلاسيكية في شعر شوقي)، مجلة فصول، عدد ١مجلد ٣، ١٩٨٢م. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣٠- محمود البشبيشي (المدائح والتهاني والرثاء في شعر المغفور له حافظ بك إبراهيم)، صحيفة دار العلوم، الإصدار الثاني، عدد ١، سنة ١٩٣٧م.

٣١- محمود سامي البارودي (الديوان)، تحقيق علي الجارم، محمد شفيق معروف، دار العودة- بيروت ١٩٩٨م.

٣٢- مفيد قميحة (الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر)، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط/ ١/ ١٩٨١م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٤٩٦٧
التمهيد	٤٩٧٠
الشعر الإحيائي وقيمة الأدب في المجتمع	٤٩٧٠
أولًا: الشعر الإحيائي وأبرز رموزه	٤٩٧٠
أبرز رواد الشعر الإحيائي في العصر الحديث	٤٩٧٢
محمود سامي البارودي	٤٩٧٢
أحمد شوقي	٤٩٧٤
حافظ إبراهيم	٤٩٧٦
ثانيًا: الأدب وعلاقته بالمجتمع	٤٩٧٧
الفصل الأول: الظواهر الاجتماعية في الشعر الإحيائي	٤٩٨٠
المبحث الأول: الظواهر الإيجابية	٤٩٨١
أولًا: الدعوة إلى العمل والمثابرة	٤٩٨١
ثانيًا: العفة والطهارة	٤٩٨٦
ثالثًا: الحث على العلم	٤٩٩٠
رابعًا: الحث على الحرية	٤٩٩٤
المبحث الثاني: الظواهر السلبية والتحذير منها	٤٩٩٩
أولًا: الفساد الأخلاقي	٤٩٩٩
ثانيًا: الفقر والبطالة	٥٠٠٣
الفصل الثاني: عناصر المجتمع في الشعر الإحيائي ونظرة الشعراء إليهم	٥٠٠٩
المبحث الأول: الذات	٥٠١٢
المبحث الثاني: الرجل	٥٠٢٠
المبحث الثالث: المرأة	٥٠٢٥
الخاتمة	٥٠٣٢
المصادر والمراجع	٥٠٣٤
فهرس الموضوعات	٥٠٣٧